جامعة محمد بوضياف.المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: ط1: 085097722

العنوان:

مقاومة الأمير عبدالقادر في الغرب الجزائري(1222ه-1807م/1300ه-1883م)

مذكرة مكملة للحصول شهادة ماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

إعداد الطلبة:

– داود كريمة

إشراف الأستاذ:

د. مرزقلال إبراهيم

إسم ولقب الأستاذ	المؤسسة الجامعية	الصفة
	جامعة محمد بوضياف.المسيلة	رئيسا
د. مرزقلال إبراهيم	جامعة محمد بوضياف.المسيلة	مشرفا ومقررا
	جامعة محمد بوضياف.المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية:1439–1440، 2018–2019م

بسم الله الرحمان الرحيم

"وقل ربي زدني علما"

صدق الله العظيم

شكر وعرفان

نحمد الله تبارك وتعالى حق حمده الذي وفقنا لإتمام هذا العمل على هذا النحو ...

نتقدم بالشكر والامتنان الكبيرين لأستاذنا الفاضل الأستاذ **مرزقلال إبراهيم** على قبوله الإشراف على هذا الموضوع وعلى ما قدمه لنا من توجيهات قيمة على مستوى المنهجية أو على مستوى المضمون العلمي.

كما نتقدم بجزيل الشكر إلى كافة الأساتذة الكرام في جامعة المسيلة.

وكل من ساعدنا من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة في إنجاز هذا العمل وشكرا.

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أرواح شهداء الثورة التحريرية الذي نسعى جاهدين لرد جميلهم والوفاء للمبادئ التي استشهدوا لأجلها إلى روح المجاهد الأمير عبد القادر التي كافحت الفرنسيين سبعة عشر عاما إلى الشعب الجزائر حفيد الأمير المكافح في سبيل العزة والحرية والإخاء والمساواة ....

إلى كل أساتذتي الذين أكن لهم تقديري وامتناني.

إلى أبي الذي كابد المشاق إبان الحقبة الاستعمارية وبعد استقلال الجزائر.

إلى التي غرست في نفسي حب العلم والمثارة في تحصيله أمي الغالية أطال الله في عمر والديا.

إلى زوجي رفيق دربي أطال الله في عمره وإلى أبنائي أمينة، محمد الأمين، وعبد الرؤوف، ساجدة ...

إلى روح ابني تسنيم رحمة الله عليها.

إلى سندي في الحياة اخوتي وقدوتي في الحياة أخوتي ...

إلى كل الأساتذة الكرام

الطالبة داود كريمة

قائمة المختصرات:

الرمز	المعنى
د.ت:	دون تاريخ
ط.خ:	طبعة خاصة
ص:	صفحة
ص ص:	من الصفحة إلى الصفحة
ط:	الطبعة
ج:	الجزء
تر:	ترجمة
ت ح:	تحقيق
تق:	تقديم
د.ب:	دون ذكر البلد
هـ:	هجري
م:	ميلادي
مج:	مجلد

مقدمة

مقدمة:

حفل مطلع القرن التاسع عشر بتطورات وأحداث طغت على مسرح السياسة العالمية، فاهتمت بها الدول الكبرى آنذاك وسعت كل منها لنيل أكثر المكاسب من خلالها بهدف توسيع حدودها الإقليمية وتقوية مركزها الدولي.

وكانت فرنسا الخطوة الأولى في هذا الميدان، فقد سارعت للاتصال بمحمد علي بواسطة ذروفتي فتصلها في مصر لاحتلال الجزائر ووضع حد لتحركات حاكمها الداي حسين، لكن المحاولة فشلت لخلاف الفريقين الفرنسي ومحمد علي حول قيمة المساعدات من جهة ومعارفة الحكومة البريطانية لفكرة التدخل بالقوة من جهة ثانية.

إثر ذلك صممت فرنسا اخضاع الداي حسين والسيطرة على بلاده، فأرسلت بتاريخ 25 ماي سنة 1830 قوة إلى الجزائر استطاعت دخول عاصمتها في الخامس من جويلية من السنة ذاتها وإخراج الداي منها، إلى المشرف العربي بعد مضي خمسة أيام قوط، ومع بداية السيطرة الفرنسية انتهت القرون الثلاثة للحكم العثماني في هذه البلاد.

وعند سقوط العاصمة –الجزائر–حدث تباني في الرأي حول متابعة القتال او عدمه، وبعد أخذ ورد صدر يقضي بعدم التراجع والمضي بالاحتلال فاستعدت حكومة باريس إلى تنفيذه بعد ان أدخلته عاملا هاما ضمن سياستها الداخلية وفي نطاق التنافس الأوروبي، لكن هذا القرار اصطدم بمقاومة جزائرية شعبية فيليه حرصت على التمسك باستقلالها وحريتها وتسلمت الدفاع عن نفسها بقيادة شيوخ المناطق لكن مواجهتها للفرنسيين احتاجت إلى الوحدة والتنظيم وافتقرت إلى قيادة مسؤولة وقادرة لحدد زحفهم.

ولمواجهة هذه التطورات كان لابد من اللجوء إلى قائد بضع الأمور في نصابها ويختلف الخلافات في مهدها وقبل شهر من تسلم الجنرال افيزار إدارة شؤون الجزائر بدأت المقاطعة الغربية تتصدر واجهة المشاكل وتستعد لانتخاب اول سلطان لها، وفي 24 نوفمبر سنة 1832م بدأت نقطة التحول في تاريخ المقاومة الجزائرية إذ أجمع قادة سهل أغرسي على أن يكون عبد القادر بن محي الدين أميرا وسلطانا.

يوحد بالإسلام كلمتهم ويدعو إلى الجهاد أثناء حملاته العسكرية وتعد هذه الحركة الوطنية الأولى من نوعها في الجزائر.

فقد سجلت تقلص نفوذ الزعماء المحليين وتراجع المعارضين الداخليين امام تزايد قوة الأمير الجديد كما كانت مقدمة لكفاحه ضد القوات الفرنسية وبذلك غدا عبد القادرالقائد العسكري الوحيد الذي سيرتبط به مصير بلاده.

رجل سبق زمانه وفقه واقعه وخبر عدوه إنه فارس العقيدة والوطن وإنه مؤسس الدولة الجزائرية الأمير عبد القادر بن محي الدين، واستطاع ان يقف في وجه دولة عظمى كفرنسا لمدة سبعة عشرة سنة متواصلة ونال قصب الظفر في مضمار المجد. كما استطاع أن يحوز رضا المؤرخين قاصيهم ودانيهم.

إنه الرجل المجاهد والقائد والمتسامح مع جميع خلق الله يحترمه الكل فهو يحق أمير بكل ما تحمله هذه الصفة من معاني سامية وإنسانية ورفعة أخلاقه لا مثيل لها.

إذا كان لأمريكا جورج واشنطن ولفرنسا نابليون فللجزائر عبد القادر بن محي الدين الحسفي الجزائري رحمك الله يا أمير هذا الوطن.

أسباب اختيار الموضوع:

هناك أسباب ذاتية وأخرى موضوعية فالأولى منها تتمثل في اهتمامي بشخصية الأمير عبد القادر وبسبب اختلاف اراء المؤرخين والكتاب في تحليل شخصية الأمير عبد القادر وبعض الأفكار التي نسبت إليه ألا تحتاج منا إلى وقفات تحليلية وتأملية، وكتب طالها التحريف والتزييف وكتاب المواقف المنسوبة إلى الأمير زورا وبهتان حيث أكدت الأمير بدسعة الحسني الجزائري أنه ليس من تأليفه وموضوع خروجه من الجزائر عام 1874م، فيجب أخذ الحيطة والحذر لأن من يكتبون عنه ليس شخصية عادية وإنما هو رمز كفاح امة ومن ثم يمكن لنا تأصيل أفكار تأصيلا إلى الأجيال بكل امانة وصدق وهذه المسؤولية في اعتقادنا ليست بالباحثين والمؤرخين فقط بل هي مسؤولية الجميع على كل المستويات لأنها

مشكلة فكرية تتصارع فيها القضايا والمسائل على جبهات مختلفة تمس كل كائن حي والانسان العربي المسلم بشكل خاص.

أما الأسباب الموضوعية: هو إحياء الذاكرة التاريخية لوطني الجزائر وإبراز أول قائد ثوري قاوم الاستعمار الفرنسي الغاشم كما ان عبد القادر هو يجاهد ضد الغزو الفرنسي من أجل استقلال الجزائر كان في الحقيقة يجاهد من أجل استقلال كل المغرب العربي وكفاح الشعب الجزائري لاستعادة استقلاله.

ما هو إلا امتداد ونتيجة للمقاومة التحررية التي قادها المير قبل قون وثيق لاسترجاع سيادة الدولة الجزائرية التي أسسها الأمير عبد القادر الحسني الجزائري في 5 جويلية 1962م.

وكفاح الشعب الجزائري لاستعادة استقلاله واسترجاع سيادة الدولة الجزائرية التي أسسها الأمير عبد القادر ما هو إلا امتداد ونتيجة للمقاومة التحررية التي قادها المير قبل القرن وثيق، كما يعتبر من الشخصيات النادرة التي مزجت بين العلم والسيف فما كان أحد يتوقع له كل هذا المجد العسكري والبطولات في كفاح الوعي لأنه كان ميالا إلى الانطواء والعزلة والدراسة والعبادة.

طرح الإشكالية:

نظرا للأهمية التي يكتسيها هذا الموضوع المتمثل في الثائر الجزائري الأمير عبد القادر حاولت في بحثي هذا معالجة إشكالية الرئيسية التالية:

هل كان الاحتلال الفرنسي للجزائر هو من صنع عبد القادر وجعلت منه أميرا وقائد ومؤسس الدولة الجزائرية الحديثة؟

وهل كانت الظروف التي أدت إلى فشل مقاومته في الغرب الجزائري هي كذلك السبب التي جعلت منه رائد القانون الإنساني والداعية على حوار الديانات في دمشق؟

الإشكالية الرئيسية هي كالتالي:

ويمكن ان تقسم هذه الإشكالية إلى التساؤلات الفرعية الآتية:

- من هو المير عبد القادر؟
- ما هو نسبه ومولده؟ أين نشأ؟
- ماذا تعلم؟ وأين تلقى تعليمه؟
- ماهي إنجازاته؟
- كيف توفى؟
- ما هو موقف الأمير عبد القادر من الاحتلال الفرنسي؟
- كيف استطاع الأمير عبد القادر بعث الدولة الجزائرية أثناء الوجود الفرنسي بالجزائر؟
- ماهي ظروف نهاية مقاومة المير عبد القادر في الغرب الجزائري؟
- ولماذا استسلم؟
- كيف كانت حياة الأمير في السجن والمنفى؟
- كيف أصبح الأمير رائد القانون الإنساني والداعية إلى حوار الديانات؟

المناهج المتبعة:

وللإجابة على الإشكالية المطروحة التي تتمحور العديد من التساؤلات تم اتباع بعض المناهج التي تفرضها طبيعة الموضوع وهي:

1. المنهج التاريخي الوصفي لسرد المادة العلمية وتدوين الحداث التاريخية.
2. المنهج التحليلي: اعتمدنا عليه في تحليل الأحداث التاريخية وإعادة تركيبها تركيبا كرونولوجيا.

خطة البحث:

في حدود المادة العلمية التي تحصلنا عليه وللإجابة عن التساؤلات المطروحة قسمنا بحثنا إلى ثلاثة فصول، تناولنا في الفصل الأول ترجمة لحياة الأمير عبد القادر من خلال ويندرج تحته ثلاث مباحث حيث تناولنا في المبحث الأول نسب ومولد المير عبد القادر أما

المبحث الثاني تعلمه وثقافته اما المبحث الثالث فعالجنا فيه إنجازاته وآثاره، أما المبحث الرابع فعالجنا فيه وفاته.

تطرقنا في الفصل الثاني إلى مقاومة المير عبد القادر في الغرب الجزائري ويندرج تحته ثلاث مباحث حيث تناولت في المبحث الأول دولة الأمير عبد القادر الحديثة، أما في المبحث الثاني تناولت فيه حروبه أما المبحث الثالث تناولت معاهداته.

وأدرجنا الفصل الثالث تحت عنوان نهاية مقاومة المير عبد القادر ومنفاه، قسم بدوره إلى مبحثين، تطرقنا في المبحث الأول إلى نهاية مقاومة الأمير عبد القادر أما المبحث الثاني فعالجنا فيه منفاه.

المصادر والمراجع المعتمدة:

لإنجاز هذا اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع التي أفادتنا في صياغة الموضوع:

المصادر:

- محمد ابن الأمير عبد القادر الحسني تحفة الزائر في مآثر المير عبد القادر وأخبار الجزائر، هذا الكتاب الوافر والشامل لحياة الأمير عبد القادر.
- أما المصدر الثاني تأليف شارل لزهنري تتشرشل عنوانه" حياة الأمير عبد القادر" الذي أفادنا في ترجمة حياة الأمير عبد القادر وموقفه من الاحتلال الفرنسي في تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة وحروبه ومعادته وفي منفاه.
- أما المصدر الثالث فهو بعنوان " مذكرات الأمير عبد القادر" فتتجلى أهمية هذا الكتاب في التعريف بنسب المير عبد القادر ونشأته ورحلته إلى المشرق العربي وذهابه إلى الحج، والتقاءه بعلماء المشرق العربي واخذ العلم منهم.

المراجع:

- الدكتور أديب حرب " التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري" ساعدني كثيرا في عدة جوانب من أعمال الأمير عبد القادر في بناء دولته الحديثة خاصة الجانب العسكري ونهاية مقاومته.
- أما كتاب" الجزائر بوابة التاريخ عامة ما قبل التاريخ إلى 1962" من إعداد عمار عمورة نبيل دادوه الذي أفادني في الجانب الإداري لدولة المير عبد القادر وحروبه.
- وكتاب " الأمير عبد القادر محي الدين الجزائري قائد رباني ومجاهد إسلامي" الذي ساعدني في منفاه في المشرق العربي (دمشق).
- نزار أباظة" الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد" ساعدني في منفاه في دمشق.

الصعوبات:

هناك العديد من الصعوبات التي واجهتنا أثناء انجازنا هذا البحث تمثلت في:

1. ضيق الوقت فمثل هذه المواضيع تحتاج إلى سنوات بحث وتدقيق وتحميل.
2. جائحة كرونا وحالة التوتر التي اشيعت في الوسط الجامعي.
3. غزارة الكتب التي تناولت حياة الأمير عبد القادر صعبت عليا قراءة كل الكتب.
4. قلة الدراسات الأكاديمية التي تناولت موضوع الأمير عبد القادر الجزائري.
5. التناقض بين الكتب الأجنبية والعربية في سرد الحداث التاريخية عندما كان في منفاه في المشرق العربي (دمشق).

الصعوبات:

ولقد تجاوزنا هذه الصعوبات بفضل الله تعالى وتوفيقه، حسبنا أننا قدمنا عملا متواضعا فالكمال لله فإن أصبنا فمن الله تعالى وإن أخطأنا فمن أنفسنا والله ولي التوفيق.

الفصل الأول:

ترجمة لحياة الأمير عبد القادر

المبحث الأول: المولد والنشأة

المبحث الثاني: شخصيته وتعليمه

المبحث الثالث: وفاته وآثاره

المبحث الأول: نسبه ومولده

1. نسبه:

هو السيد الجلي العارف النبيل الناسك العالم العامل المؤرخ السيد حاج عبد القادر بن محي الدين بن المصطفى بن محمد بن أحمد بن المختار بن عبد القادر بن أحمد المختار[1] بن عبد القادر المعروف بخده (محشي صغرى سنوسي) بن أحمد القديم بن عبد القادر بن محمد بن محمد بن عبد القوي بن عبد الرزاق بن الغوت الرباني سيدنا عبد القادر الجيلالي بن صالح بن موسى بن عبد الله بن يحى الزاهد بن الإمام محمد بن الإمام داوود بن الإمام موسى بن الإمام عبد الله بن الإمام موسى الحوشي بن الإمام عبد الله المحشي بن الإمام الحسن المثنى بن الإمام حسن البسط[2] بن الإمام علي بن أبي طالب[3] هذه عرة سلسلته الوثقى التي لا انفصا لها من تحقيق نسبه إلى الإمام الغوت الذي قال " قدمي هذه على رقية كل ولي" .

2. مولده:

هو عبد القادر ناصر الدين الإبن الراع لعبد القادر محي الدين، ولد في شهر ماي، سنة 1807م[4] في قرية القيطنة[5] على ضفة وادي الحمام[6] في منطقة أغريس التي تقع في

---

[1] علي بن محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر، قائد رباني ومجاهد إسلامي، دار المعرفة، بيروت، لبنان،(د.ت) ص100.

[2] الأمير عبد القادر، مذكرات الأمير عبد القادر، سيرة ذاتية كتبها في السجن، سنة 1849، تح: مجمد الصغير البناني، محفوظ السماتي، محمد الصالح الجون، ط07، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، 2010، ص46.

[3] الأميرة بديعة الحسين الجزائري، الأمير عبد القادر، حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف، ط2، دار المعرفة، الجزائر، 2008، ص15.

[4] العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص145.

[5] القيطنة قرية على بعد 28 كم من مدينة معسكر مقر أسرة الأمير عبد القادر اختطها جده مصطفى بن المختار سنة 1206، وفيها ولد الأمير وعرفت آن ذاك إشعاعا دينيا وثقافيا معتبرا بفضل زاويتها القادرية الشهيرة (زاوية القيطنة) وقد هدكها بيجو في سبتمبر 1841 وهي اليوم بلدية تابعة لدائرة بوحنيفة ولاية معسكر، يراجع: تح، محمد الصغير البناني محفوظ السماتي، محمد الصالح الجون، المصدر السابق، ص48.

[6] واد الحمام: وهو المعروف بحمام بوحنيفة يبعد عن مدينة معسكر بحوالي 30كم، يراجع: المصدر نفسه ص48.

إقليم وهران في الجزائر وأمه السيدة بنت عبد القادر بن خدة وهي تنحدر من بيت علم وتقوى من أولاد سيدي عمر بن دوحة[1] ومنذ طفولته كان عبد القادر مواضحا خاصا لحب والده حتى عندما كان في الرضاعة فإن الوالد أكنون كان يصر على أخذ الطفل إلى حضنه وكان لا يسمح لأحد غيره بأن يقوم بالعناية به فقد كان هناك على ما يبدو سر غامض وعاطفة غير محددة يدفعان الأب إلى أن يخصص اهتماما غير عادي للطفل الذي سيكون مستقبله محفوفا بهالة مجيدة ومرتبطا بمستقبل بلاده

[1] علي بن محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 101.

المبحث الثاني: نشأته التعليمية

وقد تطور الولد بدنيا بسرعة فائقة، بينما كانت ملامحه تظهر في مقارنة غريبة مع تطوره الجسمي حياد طبيعيا كبيرا فعبارة يخاف (يخاف من ظله) قد تؤخذ على حرفيتها بالنسبة لعبد القادر، ولكن بعد سنوات وعندما كان في كمال وحيوية رجولته أظهر شجاعة فاقت كل شجاعة، فقد كان دائما كل من يقود اطلاق النار أو يغطي الانسحاب، لقد كان والده غالبا ما يعود به إلى عهد طفولته الناعمة ويعجب من المقارنة المدهشة.

أما مملكات العقلية للولد فقد كانت تدل على بلوغ غير عادي فقد كان يقرأ ويكتب عندما كان في الخامسة من عمره وقد أصبح طالبا عندما كان في الثانية عشر، أي أنه في هذه السن كان متمكنا من القرآن والحديث وأصول الشريعة وبعد سنتين حمل على تسمية حافظ وذلك يعني أنه أصبح[1] يستطيع ترتيل القرآن عن ظهر قلب، وفي هذه المرحلة بدأ يعطي دروسا في جامع الأسرة حيث كان يعقب ويفسر أصعب وأعمق الآيات والشواهد.

لقد كان طموحه الأكبر في شبابه وهو أن يصبح (مرابطا) مثل والده الذي كان يحبه ويتحمس له تحمسا بلغ حد العبادة[2] فسلك مسلك أباءه وأجداده في الأخذ بالأسباب، الثقافة الإسلامية والحضارة العربية، جامعا بين آداب الدرب، وآداب النفس، والتفنن ي أنواع الفتوى والفروسية وكان والده هو الذي يتولى تنشأته بيده، ثم سله إلى علماء غريس فأخذ عنهم واصطحبه الده معه إلى وهران حيث ما وضعته الحكومة التركية تحت الإقامة الجبرية هنالك خوفا من سلطانه ونفوذه الروحي في الرغبة فاغتنم عبد القادر وجوده بوهران وأخذ يدو على مجالس علماءها فيحظر دروسهم ويتلقى منهم ما لم يكن له به علم وهو آن ذاك لا يزال غلاما مراهقا[3] وعند عودتهم إلى قيطنة كلف والده سيدي أحمد بن الطاهر قاضي أرزو،

---

[1] شرالز هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، أبو القاسم سعد الله، طبيعة خاصة، دار الراشد، الجزائر، 2009، ص ص 61-62.

[2] شارلز هنري تشرشل، المصدر السابق، ص62.

[3] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج04، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص280-281.

بتدريسه وإطلاعه على العلوم الحديثة: علم الفلك، الحساب، الجغرافيا بالإضافة على الشؤون الأوروبية، ولم يجد بعد ذلك أفضل من الانضمام إلى جماعة رجال الدين وطلاب المعرفة ممن كانوا يلتفون حول والده في دراسة العلوم القرآنية، حيث كانت تعطى مجانا دروس في الآداب والحقوق والتوحيد ورافق هذا النضج الفكري نضج جسدي مبكرا قادرا على احتمال أشد الصعاب.

وبرز في مجال الفروسية فكان فارسا موهوبا في ميدان السباق فكان يركب جوادا فاحم السواد[1] لينطلق يسبق منافسه وليس سوى سلاحه يظهر الزينة فقد كانت بندقيته التونسية الويلة مرصعة بالفضة، أما مسدسه فقد كان مرصعا بالجواهر، وكان سيفه الدمشقي مغمدا في غمد من الفضة وكانت متعته في ممارسة هوايته المفضلة (الصيد) وأتقن صيد الغزال والنعامة والخنزير البري والنمر، ولم يكن في رحلة الصيد يميل إلى تلك التظاهرات الفخمة التي كان يتعمدها الأجواد، فكان يكتفي في مرافقة خادمين أو ثلاثة ويتوغل في أعماق الغابة بحثا عن صيده المفضل (الخنزير البري) حتى إذا ما حقق هدفه عاد من رحلته الرياضية ليعزل نفسه بالدراسة بحوية متجددة وللتفرغ للعبادة.

واشتهر بقرته على النوم خلال أسابيع والتعرض للصدام أو ندرة إغماد سيفه فكان عرشه قائما على سرج جواده ولم يكن ذلك نتيجة لتلك المواهب الفطرية التي صقلها المكتسبات الفكرية والجسدية[2].

بعد ذلك عزم عبد القادر على مرافقة أبيه لأداء فريضة الحج في شعبان 1230هـ مارس 1825م فانتقلوا عبر طريق التل الواصلة بين الجزائر وتونس فالتحقوا بواد شلف ومنه إلى برج حمزة في مدينة قسنطينة ثم محطة الكاف، ومنها إلى مدين تونس التي أعجب بها الشاب عبد القادر وتعرف فيها إلى الفقيه الشيخ أحمد المزري ووكيل الغارية الحاج الحرشي

[1] بسام العسلي، جهاد الشعب الجزائري، ج03، دار العزة والكرامة للكتاب، وهران، الجزائر، 2009، ص156.

[2] المرجع نفسه، ص156-157.

ومنها ركب البحر مع ابنه ومن كان يرافقه إلى الاسكندرية[1] فزاروا معالمها ووقفوا عند مقام أبي عبد العباس المرسي، والعارف بالله تلميذه تاج الدين ابن عطاء الله[2] وأبي الحسين البصري[3]، ثم انتقلوا إلى القاهرة[4] وحفظوا بضيافة الوالي الفقيه محمد سعيد الغاندي.

وقد وقف الشاب عبد القادر على معالم القاهرة فزار القرافة وتردد إلى مساجد الحسين والإمام الشافع والجامع الأزهر وتعرف إلى بعض علماءها أمثال الشيخ علي الميلي والشيخ فراج والشيخ ابن الأمير ولعله أعجب بتلك الإصلاحات التي أدخلها محمد علي على القاهرة[5] بعدها تحول مع مرافيق إلى السويس فركبوا البحر إلى جدة وأدوا فريضة الحج[6] ثم صاحب الشيخ محي الدين وابنه عبد القادر ركب الحجيج إلى المدينة ومنها سار إلى بغداد عن ريق دمشق لتعذر الذهاب إليها مباشرة عن طريق الدروف كما وصفه في سيرته في قوله " يكثيريه اللصوص المنتهبين فلا تجتازه السيارة مع قبائلها من البر لكونهم[7] لا ينالهم حكم السلطان ولا خوف الله .

توجه الشيخ محي الدين وابنه عبد القادر من دمشق إلى بغداد[8] لكون الطريق آمنا آن ذاك تعبره القوافل وينتقل عبره المسافرون واستقر المقام بها في بغداد مدة شهرين، زار أثناءها مقام صاحب الطريقة القادرية[9] والشيخ الصلحاء وقطب الأولياء سيدي عبد القادر

---

[1] ناصر الدين السعيدوني: عص الأمير عبد القادر، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود الابيطين للإبداع الشعري، 2000، ص156.

[2] مذكرات الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص109.

[3] ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص156.

[4] بشير البلاح، مؤجر تاريخ الجزائري الحديث والمعاصر، من 1830-1889، دار المعرفة، باب الواد، الجزائر، 2000، ص 25.

[5] شارلز هنري تشرشل، مصدر سابق، ص68.

[6] صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين، 814 ق م – 1962م دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2002، ص155.

[7] ناصر سعيدوني، مرجع سابق، ص 57.

[8] الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص112.

[9] الطريقة القادرية: تنسب القادرية إلى الشيخ عبد القادر الجيلالي، المتوفى في بغداد سنة 561هـ وهو يعتبر عند المتصوفين سلطان الأولياء والزاوية الأم للطريق توجد في بغداد ولها فروع في الجزائر وأول من أسمى فرعا للقادرية في

الكيلاني (ت، 1166م) وتعرف إلى وكيل الضريح نقيب الأشراف محمود القادري شيخ السجادة القادرية.

ثم غادر بغداد نحو دمشق من جديد ومنها إلى المدينة المنورة حيث أديا مناسك الحج والعمرة للمرة الثانية[1].

وقد سافرا مع الركب الحجازي نحو العقبة فمحطة وزار قبر[2]مصطف بن مختار[3] واد الششيخ محي الدين بعين غزالة قرب درنة، ثم اجتاز الجبل الأخضر بإقليم برقة ومرا على بني غازي ومنها واصل طريقهما غربا فتوقفا بمصراتة حيث وقفا على مقام أحمد زروق البرنسي، ومنها إلى تاجورة قرابلس الغرب ثم قابس والقيروان والكاف، ومنها إلى موطنهما القيطنة حيث ألقيا عصا الترحال في أوائل عام 1243هـ 1828، وقد أتاحت هذه الرحلة المباركة للأمير[4] التعرف على كبار الشخصيات العلمية والدينية والسياسية.

وقد رزقه الله من الذكاء المفرط وسعة العقل وسعة الخاطر ما جعل هؤلاء يعجبون به حتى أصبح مظرب الأمثال بينهم، في البلوغ ولطافة الحسن.

وكان من بين مشاهير الشرف الذين أخذ عنهم في رحلته هذه الشيخ عبد الله الكزبري، إمام دمشق ومحدتها وضياء الدين خالد النقشبندي السهر وردي والشيخ محمود القادري، نقيب أشاف بغداد وغيرهم[5] كما تطلع على أنظمة البلدان العربية وسير حياتها في الحكم

الجزائر هو الشيخ مصطفى الغريسي سنة 1200، انظر: د أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، الثقافي، 1830-1854، ج4، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص42-43.

[1] ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 157.

[2] المرجع نفسه، 157.

[3] مصطفى ابن مختار جد الأمير عبد القادر وكان قد حج أكثر من مرة وأجازه الشيخ مرتضي الزبيدي وهو الذي أسس قرية القيطنة ونشر طريق القادرية في الغرب الجزائري، توفي أثناء عودته من الحج ودفن في عين غزالة قرب برقة بليبيا، سن 1212هـ واثناء عودة محي الدين وعبد القادر من الحج بطريق البر توقف لزيارة قبره، انظر: شارلز هنري تشرشل، مرجع سابق، 69.

[4] يحى بوعزيز الأمير عبر القادر رائد الكفاح الجزائري، ط3، الدار العربية للكتاب، 1983، ص43.

[5] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، مرجع سابق، ص281.

والإدارة ومختلف الميادين، السياسية والاجتماعية غيرها....، فرجع مملوء الزاد[1] بما يصلح أن يسوص دولة المغرب الأوسط (الجزائر) التي يحتفظ بها له القدر ويخبؤها له المستقبل[2].

كان لهذه الرحلة أثرها العميق في أعماق نفس الأمير عبد القادر، الذي أخذ في الاعتزال عن الناس والانصراف إلى العبادة وقضاء الوقت في الرياضات العقلية التي تضمنها مؤلفات القدماء أمثال أفلاطون وفيثاغورس وأرسطو علاوة على مؤلفات كبار المشاهير من أعلام المسلمين والتي شملت علوم التاريخ الإسلامي، الفلسفة، اللغة، الفلك، الجغرافيا، والطب[3] فتكونت لديه خلال هذه الفترة مكتبة ضخمة كانت هي ثروته الدنيوية وقد استمرت هذه الهواية في مرافقته طوال حياته[4] وتجديد علمه وإثراء ثقافته

المبحث الثالث: وفاته وآثاره

1. أيامه الأخيرة ووفاته:

[1] يحى بوعزيز، مرجع سابق، ص43.

[2] المرجع نفسه، ص43.

[3] محمد هلوب، في الذكرى المأوية الثانية لميلاده، الأمير عبد القادر وحقوق الإنسان، مجلة مجلس الأمة، العدد 35 أفريل 2008، الجزائر، ص12.

[4] حسام العسلي، المرجع السابق، ص159.

كانت أيامه الأخيرة يغلب عليها الهدوء والبساطة والنظام الدقيق وكان يستعد للقاء الله عز وجل وينتظر الأجل ومنه حجه 1862م[1] وأصبحت حياته تميل إلى الزهد والعبادة والعلم والتعليم ومساعدة الناس[2] كان الأمير عبد القادر قبل الشروق بساعتين، وينصرف إلى الصلاة وتلاوة القرآن والتفكر في فقه القدوم على الله عز وجل وبقى حتى شروق الشمس.

وبعد صلاة الشروق يعود إلى منزله ويتناول وجبة خفيفة ثم يعمل في مكتبه حتى الظهر[3] وآدان الظهر يدفعه إلى المسجد من جديد حيث يكون تلاميذه تجمعوا بانتظار وصوله فيأخذ مقعدا ويفتح الكتاب الذي اختاره للمناقشة ويقرأ فيه بصوت عال تقاطعه باستمرار طلبات الإيضاح التي يقدم الأجوبة عليها فاتحا الكنوز العديدة في الدراسة والأبحاث التي تجمعت لديه طيلة حياته المديدة.

وبعد العصر يعود عبد القادر إلى منزله حيث يمضي ساعة مع أولاده مستوضحا عن النتائج التي حصلوا عليها ثم يأكله وعند غروب الشمس يعود من جديد إلى المسجد حيث يدرس لمدة ساعة ونصف وتنتهي مهمته كمدرس لذلك اليوم ومازالت لديه بعض الساعات يقضيها في المكتبة ثم يذهب ليرتاح[4].

وكان الأمير عبد القادر دقيقا أيضا في إحسانه كل يوم جمعة كان بالإمكان رؤية الشارع المؤدي إلى منزله بالفقراء المتجمعين كالعادة لتوزيع الخبز وكان الفقراء الذين يموتون فلسين تماما ليس في حيه فقط وإنما في دمشق كلها يدفنون على نفقته ويكفي أن يسمع بمعاناة إنسان ليسعفه فورا وكان يكرس بصورة مستمرة جزءا من أعماله الخيرية.

واستفاد من ذهابه الأخير للأراضي المقدسة وحج مرتين وبقي في مكة والمدينة تلك الفترة المتواصلة استقبله شريف مكة وأمر بتخصيص غرفتين له في الحرم واستفاد من العلماء العباد.

---

[1] علي بن محمد الصلاب، المرجع السابق، ص362.

[2] بسام العسلي، المرجع السابق، ص260.

[3] علي بن محمد الصلابي، المرجع السابق، ص362.

[4] المرجع نفسه، ص 362.

واجتهد في طلب العلم والعبادة وبقي في مكة 12 شهرا متتالية وصرف كامل وقته للدراسة[1] الصلاة والتأمل والصيام وملاقاة العلماء والزهاد طلاب الآخرة ثم بعد ذلك ذهب إلى المدينة بقي بها أربعة أشهر على مقربة من المسجد النبوية ثم عاد إلى مكة للحج من جيد وكانت تلك الرحلة زادا روحانيا لبقية حياته حافظا على ذلك أيامه الأخيرة[2].

كان يتهجد في الليل ويمارس في رمضان الرياضة على الطريقة الصوفية، ومازال مثالا للبر والتقوى[3] مع تقدم سن الأمير واعتلال صحته حف نشاطه وجهده وعمت الإشاعات عن حالته الصحية.

وذهبت بعض الصحف إلى حد إعلان وفاته عام 1880م فرشاه الشاعر محمد إسحاق الأدهمي الطرابلسي واطلع الأمير على ذلك وكتب يشكره وكذلك الجرائد على اهتمامها به وتقديرها له وكذلك مبعث للسرور للأمير بنفسه فقد علم بأنه بعد مهامه سوق يكون له ذكر حسن "واجعل لي لسان صدق في الآخرين".

وأثناء تلك الأيام زاره الأديب التونسي محمد السنوسي فأكرمه وأحسن ضيافته، وذكر الأديب التونسي جزءا من سيرته ومرضه بعد ذلك في كتابه الرحلة الحجازية. وفي بداية ماي 1883م كان معتكفا بمصيف دمر في داره يهجد وتبتل لربه اشتد عليه مرض المثانة وحصر البول فزاده الضعف والهرم[4] وفي منتصف ليلة السبت 26 ماي 1883م [5] دعاه مولاه وفيضت روحه حان أجله[6] غسله نزيله وضيفه الشيخ عبد الرحمان عليش الأزهري،

وفي الصباح نقل في عربة من قصره في دمر إلى داره في الشام وصلى[7] عليه في المسجد الأموية ف مشهد قل نظيره وخرج لتشييعه جمع كثير وغفير مع الخضوع والتخلل

[1] علي محمد الصلابي، مرجع سابق، ص363.

[2] نفسه، ص 363.

[3] شارلز هنري تشرشل، مصدر سابق، ص 12.

[4] علي محمد الصلابي، مرجع سابق، 363.

[5] شارلز هنري تشرشل، مصر سابق، ص12.

[6] علي محمد الصلابي، مرجع سابق، ص363.

[7] نفسه، 364ص.

وشيعته دمشق عاصمة الأمويين في موكب مهيب ودموع وقصائد رثاء سطرت بوداد مضيء ويكتب مقالات جاءت لتكون اعترافا بمكانته النضلية والفقهية والإنسانية.

وتكريما لهذا البطل من الله عز وجل على لسان سكان هذا الكوكب[1] قال تعالى: " والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوءنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون" [2] فدفن بمقام الشيخ محي الدين ابن العربي، وترك من الأمراء محمد باشا ومحي الدين باشا والهاشمي وإبراهيم وأحمد وعبد الله وعلي وعبد الرزاق وعبد الملك، فالأمير محمد ومحي الدين انتقلا إلى الإستانة وجعلتهما الدولة في مجلس الأعيان إلى أن توفيا.

وكان الثاني منهما محي الدين شاعرا أديبا عالي الهمة وذهب سنه 1870م بدون علم أبيه إلى الجزائر للاستمرار في ثورة المقراني، والحداد (ثورة القبائل) فلما بلغ الخبر أباه أعلن سخطه عليه لأن الأمير أعطى عهده لفرنسا حافظ على قوله للممات[3] وأما الهاشمي فمن ولده الأمير خالد الذي تزعم الحركة الوطنية في الجزائر سنة 1920م[4] وكذلك الأمر بالنسبة لبقية الإخوة والأبناء الذين تابعوا طريق الجهاد على سيرة الأمير وخطاه.

وأفاقت الجزائر على ثورة الفاتح من نوفمبر 1945م وخاضت الصراع المرير في ثم لها الاستقلال ووقفت تبحث عن كل نراث الأجداد الذين بذلوا وضحوا في سبيل الله وفي سبيل الوطن الجزائري ولم تنسى رائدها الأول ومؤنس دولتها فطلبت إلى دمشق إعادة السيف إلى غمده وحملت رفاة الأمير لتستقر إلى جوار المجاهدين الأبرار الذين مزقتهم سيوف الأعداء فوحدتهم سيوف المجاهدين الأحفاد وأعادتهم إلى ميادين جهادهم ونقل جثمانه إلى مقبرة العالية يوم 05 جويلية 1966م[5].

---

[1] الأميرة بديعة، حسين الجزائري، مرجع سابق، ص 230.

[2] سورة النحل، الآية 41.

[3] بسام العسلي، مرجع سابق، ص260-261.

[4] الأمير خالد، مؤسسة حركة الإخوة الجزائرية التي من مطالبها المساواة بين الجزائريين مع الفرنسيين في الحقوق انظر عبد الرحمان بن برهيم العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، 1920-1936، ج01، ط02، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، الجزائر، 2008، ص 88-89.

[5] عمار يوحوش، مرجع سابق، ص115.

2. آثاره:

أول كتاب ألفه عام 1249م /1833 وقد أطلق عليه اسم وشاح الكتائب وزينة الجند المحمدي الغالب وجعله من مقدمة وأربعة وعشرون قانونا[1] كذلك من آثاره مدينة في الولايات المتحدة الأمريكية سميت باسم الأمير عبد القادر أطلق عليها اسم d'el kader ذكرت صحيفة الواحة أن سكان المدينة الكادر بولاية أبو الأمريكية مازالوا يحتفلون كل عام بذكرى تسمية مدينتهم باسم المقاتل العربي الشهير الأمير عبد القادر[2] وبعض آثاره تعرض في دار الأوبرا في المدينة يستطيع مشاهدتها كل زائر إلى الآن[3] كذلك من مؤلفاته (رسالة المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإيكاد) كتبه في سجنه في أومبواز بفرنسا[4] جعل لها مقدمة وثلاث أبواب، المقدمة في كلام عن العقل وما يتعلق به، والباب الأول في إثبات الألوهية، والباب الثاني في إثبات النبوة والباب الثالث خصصه في الحديث عن الأخلاق الإسلامية منذ عهد أدم عليه لسلام[5] وأيضا كتاب المواقف[6] الذي نسب إلى الأمير عبد القادر والذي طبع في مصر سنة 1329هـ -1911 م أي بعد وفات الأمير بثمانية وعشرون عام،وربما كان عبارة عن أوراق متناثرة كان الأمير يخط بعضها للرد على معتقد ما وسفسطة أصحاب علم الكلام ليلقبها في ندواته العلمية في الجامع الأموي ودار الحديث النووي، أثناء إقامته في دمشق وتفسير بعض الآيات القرآنية[7] كما له ديوان منها قصيدة نظمها بعد خروجه من غار حراء وقدمها إلى أستاذه الجليل الشيخ محمد الفاسي[8].

---

[1] الأميرة بديعة الحسين الجزائري، مرجع سابق، ص67.

[2] المرجع نفسه، ص 71.

[3] المرجع نسفه، ص 73.

[4] المرجع نفسه، ص83.

[5] المرجع نفسه، ، ص83.

[6] عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر المفكر، ط3، دار الغرب، للنشر والتوزيع، وهران، 2009، ص90.

[7] الأميرة بدعة الحسني الجزائري، مرجع سابق، ص162.

[8] المرجع نفسه، ص 285.

لقد إنخرط الأمير في برنامج شمولي اقتضى منه أن يجند كل الإمكانات من أجل بلوغ الهدف وكان الشعر في مقدمة الوسائل التجنيدية التي استطاع الأمير الشاعر أن يوظفها في المعركة منها القصيدة " يا أيها الريح الجنوب" أرسلها الأمير إلى بعض خلفاءه مشعوفة بخطاب يعضد فيه المجاهدين ويقوي من معنوياتهم[1] كذلك في قصيدته "شدد عليه شدة هاشمية" كان قائد المعركة والد الأمير عبد القادر وقد دارت رحاها في وهران في مكان يدعى خنق النطاح حدثت هذه المعركة الهائلة عام 1247هـ/ 1832م وقد وصفها الأمير بهذه القصيدة"

ألم ترى في خنق النطاح نطاحنا

غداة التقينا كم شجاعا لهم لوى

وكم هامة ذاك النهار قددتها يحد حسام وألقن طعنها شوى[2]

ولقد جمع له ولده محمد ديوان شعر نشر تحت عنوان " نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر" طبع ببيروت ثم أعيد طبعه في تلمسان بعناية الأستاذ عبد الوهاب بن منصور سنة 1371/ 1952 وجاء الدكتور ممدوح حفي وعلق عليها ونشره في مطلع 1960 أي بمناسبة مرور مئة عام على الثورة العارمة التي قامت في لبنان ودمشق وراح ضحيتها الكثير من المسلمين والمسيحيين، قال الناشر: أعيد نشره وأهديه للأحرار في كل مكان ولأذكر الفرنسيين الذين يذبحون إخواننا في الجزائر[3] بالأمير عبد القادر حمى أبناء دينهم[4] وأريهم الفارق العظيم بين العدو النبيل والعدو السافل[5].

[1] عشراني سليمان، الأمير عبد القادر، الشاعر ط03، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2009، ص39.

[2] الأمير عبد القادر، ديوان الأ/ير عبد القادر الجزائري، دار اليقضة العربية للتأليف والترجمة والنشر: ممدوح حفي 1960، ص32.

[3] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، مرجع سابق، ص282.

[4] شارلز هنري شلرشل، مرجع سابق، ص 357-358.

[5] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، مرجع سابق، ص282

من مؤلفات الأمير عبد القادر التي ألفها في بروسا بتركيا أثناء إقامته بها رسالة ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، طلبت إليه تأليف هذه الرسالة الجمعية الأسيوية بباريس وكان تاريخ تأليفها يوم الإثنين 14 رمضان سنة 1271هـ/ 1855م، ثم نقلها غسقاف ديقا إلى اللسان الفرنسي سنة 1858م وهو قنصل فرنسا بدمشق في ذلك العهد ثم ترجمها رونيه خوان سنة 1977م عنوانه بعنوان آخر وهو رسالة إلى الفرنسيين [1] والكتاب مقسم إلى ثلاث أقسام ويتناول القسم الأول، فوائد التعليم، والقسم الثاني عن الدين والأخلاق، والفصل الثالث، عن فن الكتابة والعلوم العامة أما الكتاب الثاني عنوانه وحدانية الله فهو عبارة عن مقارنة وفي نفس الوقت استعراض بارع لكل الحجج التي تؤيد وتوضح ذلك المبدأ الأساسي للدين المحمدي[2]

[1] عمار طالبي، الأمير عبد القادر ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004، ص06.

[2] شارلز هنري تشرشل، المصدر السابق، 337.

الفصل الثاني:
مقاومة الأمير
عبد القادر في الغرب الجزائري

المبحث الأول: حروبه قبل المبايعة بالإمارة

في سنة 1246 هـ/ 1830 م حينما بدأ الفرنسيون باحتلال الجزائر واضطر حسن باك حاكم وهران التركي لتسليم البلدة، دارت رحى القتال بين الحامية الفرنسية والأهالي [1] وتولى قيادتهم حينئذ والده السيد محي الدين وقام معه بامر الجهاد [2] وتنظيم صفوف المقاومة خلال سنتين من الاحتلال ولكن بشكل غير منتظم وفي اواخر شهر ماي من عام 1832 م عقد اجتماعا في مزرعة اليقطنة التي ورثها عن أجداده الأدارسة دعا إليها جميع رؤساء القبائل .[3]

باستكشاف مراكز المحتاجين بوهران فتسلل متخفيا في جوف الليل، ولما قرب من المدينة شاهدقوات العدو معسكرة في ساحة المدينة[4] في مكان يسمى حنف النطاح[5] للأولى فرجع بهذا الخبر إلى سيدي محي الدين وبعد وضع خطة الهجوم نادى بالجهاد فاجتمع حوله في مزرعة القيطنة الرجال واستقبلهم بصحة مدوية "الله أكبر" (أسرع الناس إلى المقاومة فتدقمهم إلى وادي سيك وقيم في المرتفعات المطلة على المعسكرات العدو وانتظر حتى غطى ظلام الليل تلك المناطق فأمر باشعال النيران باعالي التلال وقبل بزوغ الفجر انقض الفرسان على القوات المتمركزة في الساحة من أربع جهات ودارت المعركة دامية بين الفريقين.[6]

[1] نزار أباظة الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، ط1، دار الفكر بدمشق، السورية، 1994، ص 10.

[2] محمد ابن الأمير عبد القادر الحسني، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائري، ج1، الإسكندرية، 1903.

[3] علي محمد محمد الصلابي، كفاح الشعبي الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر، دار المعرفة، بيروت، (لبنان)، (د، ت) ص 332.

[4] علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 333.

[5] محمد بن الأمير عبد القادر الحسني، المصدر السابق، ص 92.

[6] علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 333.

والمجاورة والمدن المحتلة ووقف خطيبا[1] قائلا: بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: "وأعدوا لهم ما إستطَعْتُم من قوةٍ"[2] ودعاهم إلى الجهاد فساعدوه على تدريب وتنظيم قوة جهادية وتلا عليهم الآيات القرآنية التي تحث على مقاومة الشر والظلم وقتال المعتدين من هذه الآيات قوله تعالى: "وقاتِلوا في سبيل الله الذي يُقاتلونَكُمْ ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المُعْتدينَ"[3] صدق الله العظيم.

وكان يرتل هذه الآيات بصوت أدخل الخشوع على القلوب الثائرة وعندما تم تدريب تلك القوة على استعمال السلاح ورمي السهام حلف أحد المجاهدين وهو السيد عبد[4] القادر بن زيان[5].

وكانت الكشافة النارية لأسلحة الفرنسيين وقذائفهم الكبيرة إلى درجة كافية لتمزيق أفضل الجيوش انضباطا وتدريبا غير أن عبد القادر استطاع إثارة حماسة المجاهدين وهو يتجول بينهم ويوجههم وأدت شجاعته وفروسيته لا إلى الثناء عليه فقط بل إلى الإعجاب المنقطع النظير به وأخذ العرب ينظرون إليه بإكبار[6] وبعد أيام دارت معركة خنق النطاح الثانية[7] بين جيش الأمير عبد القادر والجيش الفرنسي بقيادة الجنرال بويه[8] وهزم فيها جيش الجنرال بويه فاستنجد بالقيادة العامة بمدينة الجزائري التي أرسلت له تعزيزات هامة فقرر خوض معركة ثالثة في برج رأس العين ولاية[9] وهران فخرج الأمير عبد القادر منها ظافرا منتصرا ولقد أبان عن قدرته وشجاعته الحربية.[10]

---

[1] المرجع نفسه، ، ص 332.

[2] سورة الأنفال (الآية: 60).

[3] سورة البقرة الآية 190.

[4] علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 332.

[5] المرجع نفسه، ص 333.

[6] بسام العسلي المرجع السابق، ص 162.

[7] محمد ابن الأمير عبد القادر المصدر السابق، ص 92.

[8] علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 335.

[9] يحي بوعزيز،ن موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، عين مليلة الجزائر 2009، ص 422.

[10] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، شركة دار الأمة للطباعة و النشر ز التوزيع، الجزائر2009، ص 281.

المبحث الثاني: مبايعة الأمير عبد القادر ومعاهدته على الإمارة والجهاد.

لقد كان لهذه الميزات والخصائص التي اجتمعت في أسرة سيت سيدي قادة ابن المختار والتي تجلت واضحة في الشيخ محي الدين بن مصطفى عميد هذا البيت وما حازه لوده عبد القادر من الفضائل والمحاسن هي التي أوجدت الرغبة الملحة في قلوب الشعب الجزائري لتقديم البيعة إليه ورئيسه عليهم فلجأت أولا إلى محي الدين ففزع القوم على مبايعته بالإمارة العامة عليهم فكان لعلو سنه ووهن عظمه، ما حلمه على التخلي عن الإمارة لولده عبد القادر معتذرا بشيخوخته[1]، وعدم قدرته على ذلك الشغل الكبير الذي لا يقدر عليه إلا مثل عمر بن عبد العزيز.[2]

فبايع الأشراف والعلماء والأعيان يومئذ ولده عبد القادر[3] وكانت تلك هي المبايعة الأولى الخاصة التي وقعت بوادي فروحة عند "شجرة الدردارة"[4] من بلاد غربي وهي الشجرة العظيمة التي كانوا يجتمعون إليها للشورى وبايعه يوم ذلك والده وأخوته وعمه أبو طالب الذي هو في نفس الوقت صهره أي أب زوجته وجميع الأسرة على السمع والطاعة 21 نوفمبر 1832م[5] ودعا له والده ولقبه "بناصر الدين"[6] وخاطب المجهادين بقوله: "إليكم

[1]عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 283.

[2]الحاج مصطفى بن التهامي سيرة الأمير عبد القادر وجهاده تح، تق، تع: الدكتور يحي بوعزيز، ط خ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،2009، ص 130.

[3]المصدر نفسه، ص 130.

[4]يحي بوعزيز المرجع السابق، ص 154.

[5]شارلز هنري تتشرشل، المصدر السابق، ص 82.

[6]عبد الرحمن بن محمد الجيلالي المرجع السابق، ص 283.

سلطانكم الذي أشارت إليه بنو دات الأولياء وإلهامات الأتقياء، هذا هو ابن الزهراء فأطيعوه كما أطعتموني واجتنبوا جفاءه نصر الله السلطان نصرا عزيزا مقتدرا"[1].

وبذلت أصبحت دولة الأمير عبد القادر هي الدولة الشرعية الإسلامية الوحيدة في ذلك العصر بالجزائر حيث أن انبعاثها كان في إرادة شعبية وبيعة شرعية وقوانين ديمقراطية حقيقية في عصر كانت فيه الدول الإسلامية الاخرى تقوم على أساس الوراثة [2]، ويومئذ أمر الامير بإذاعة خبر هذه البيعة بين جميع أنحاء القطر الجزائري واستدعاء العامة من سائر الأطواف لحضور البيعة الثانية [3] أو العامة التي ستعقد بمركز الغمارة في مدينة معسكر يوم 13 رمضان 1248 هـ/ 4 فيفري 1833 م، وجاءت الوفود في اليوم الموعود فبايعه الناس مذعنين طائعين [4] وهكذا تمت بيعته فانبرى إلى تكوين جبهة قومية متحدة أمام العدو وبعث بذلك في نفوس الجزائريين شعورا بروح القومية التي طالما أخمدها التعالي العنصري والنزاع القبلي واشتغل بتنظيم حكومته وترتيب إدارة دولته.[5]

1- نظام الحكم والإدارة:

لم يلبث الامير أثر انعقاد البيعة طويلا حتى بادر بتنظيم الجهاز الحكومي فاهتم من حينه بترتيب الإدارة وتنظيم دعائم الحكم وتوطيد معالم الدولة الجزائرية سياسيا وحربيا واجتماعيا، فسارع أولا إلى تعيين مركز الدولة ودار الإمارة فجعل ذلك بمدينة معسكر المشهورة باسم "الراشدية" بولاية [6] وهران فكانت هذه هي عاصمة الدولة الجزائرية بعد سقوط

[1] بركات محمد مراد الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي، دار النشر الإلكترونية كلية التربية، جامعة عين شمس ولاية باتنة، الجزائر، 1995، ص 14.

[2] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 285.

[3] الاميرة بديعة الحسني الجزائري، المرجع السابق، ص 32.

[4] الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص 143.

[5] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 289.

[6] نفسه، ص 289.

مدينة الجزائر بيد العدو وإذ ذاك اخذ في تكاليف الحكومة [1] فأسس مجلسا للوزراء وأنشأ ـخر للشورى، منطلقا في ذلك من دستور الإسلام القرآني وما يقتضيه اختيار الشعب الجزائري المسلم الأبي.[2]

بدأ الأمير عبد القادر مرحلة التنظيم بتشكيل جهاز الحكم (الوزارة) والتي تكونت كالتالي:

1-رئيس الوزراء ويقوم بهذه المهمة الأمير عبد القادر (ناصر الدين)

2-نائب رئيس

3-وزير خارجية

4-وزير خزانة المملكة

5-وزير الخزينة الخاصة

6-وزير الأوقاف [3]

7-وزير الأعشار والزكاة

ثم ياتي بعد الوزراء الكتبة وهم ثلاثة حسب الحاجة ثم احاجب واتخذت هذه الوزارة منمدينة معسكر مقرا لها واختار الأمير لتستغل هذه المناصب أفضل الرجال ممن تتوافر لهم الكفاءة العلمية والخبرة الفنية والمهارة السياسية والقدرة القيادية إلى جانب الفضائل الخلقية والدينية قبل كل شيء وبذلك استطاع الوزراء الاصطلاع بمسؤولياتهم على أفضل وجه [4] ممكن فلم تمض اكثر من فترة قصيرة من اشتهرت عن جدارة بانها 'من أفضل الوزارات التي عرفها القرن التاسع عشر)[5].

---

[1]الدكتور عمار بحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962م، ط3 دار البصائر للنشر و التوزيع، حسين داي، الجزائر،2008، ص 109.

[2]عبد الرحمان محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 290.

[3]عبد الرحمان محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 290.

[4]بسام العسكر، المرجع السابق، ص ص 167-168.

[5] نفسه، ص 168.

اما مجلس الشورى فكان يضم احدى عشر 11 عضوا من العلماء والفقهاء يرأسه العلامة أحمد بن الهاشمي المراحي ويمثل مختلف مناطق الإمارة وأهم عمل قام به هذا المجلس هو نشره لمدونة عسكرية تحتوي على قوانين واجراءات عسكرية وكانت الإمارة في البداية تحتوي فقط على مقاطعتي معسكر وتلمسان ولما اتسعت قسمت إلى ثمان ولايات وهي: [1]

معسكر وميناؤها بلدة أرزيو– غربي وهران[2]– وخليفتها السيد الحاج مصطفى بن أحمد التهامي، تلمسان وخليفتها السيد محمد البوحميدي واللهامي، مليانة وخليفتها السيد محي الدين بن علال القليعي ثم خلفه محمد بن علال المدية وخليفتها السيد محمد البركاني الزيبان وتداول على رئاستها كل من السادة فرحات بن سعيد وحسان بن عزوز ومحمد الصغير بن عبد الرحمان.[3] سطيف وتداول عليها كل من السادة محمد بن عبد السلام المقراني ومحمد الخروبي ومحمد بن عمر العيسوي ايرج حمزة (البويرة) وخليفتها السيد احمد بن سالم الدبيسي، الصحراء الغربية وخليفتها السيد قدور بن عبد الباقي [4] وتحاشى عبد القادر عن التلقب بلقب السلطان وذلك فيما اعتقد تأدبا مع سلطان دولة المملكة المغربية الشقيقة ومراعاة لحرمة الجوار فاكتفى على لقب "الأمير" أو أمير المؤمنين" [5] وعمل الأمير عبد القادر على إعادة تقسيم البلاد إلى مقاطعات وهذه إلى دوائر ووضع في كل منها آغا، وهذه الدوائر تشمل على القبائل النازلة فيها وتشمل القبيلة على (بطون وعشائر) فجعل على كل قبيلة قائدا وعلى كل بطن وعشيرة شيخا، فكانت الاوامر الأميرية تصدر إلى العمال المعروفين (بالخلفاء) ومنهم إلى الآغوات ومنهم إلى القواد ومنهم إلى المشايخ.

[1] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 290.

[2] عمار عمورة، نبيل داودة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 268.

[3] عمار عمورة، نبي داودة، المرجع السابق، ص 268.

[4] العربي منور، المرجع السابق، ص 148.

[5] بسام العسلي، المرجع السابق، ص 169.

ويقوم المشايخ برفع القضايا التي تحدث والمشكلات التي تقع إلى القواد وهم يرفعونها إلى الآغوات [1] ومنهم ترفع إلى الخلفاء ثم تعرض على الحضرة الأميرية وفي وقت الحرب يصبح هؤلاء الرؤساء قادة عسكريين فيجمع كل منهم جماعة من عشيرته ويقودها إلى الحرب[2] وكان الأمير عبد القادر يحرص عند تجميعه للقبائل على ما بينها من روابط وعلى ما يربطها ببيئتها المقيمة فوقها من روابط جغرافية وتاريخية [3]، اما القضاة المدنيون على مختلف المناطق فإلى جانب هذه الخصال الحميدة يجب أن يتوفر فيهم العلم الواسع بامور الشريعة الإسلامية ويتم تعيينهم لمدة سنة يمكن تحديدها يساعدهم في مهامهم كاتبين ويحق لأي شخص أن يطعن في أحكامهم امام قاضي القضاة وتتمتع السلطة القضائية بالاستقلال على السلطة التنفيذية ويتم تعيين مختلف الإطارات العليا في الدولة مدنيين وعسكريين وفقا لمراسيم يتكفل بها الديوان الخاص [4] ثم يحلقون على القرآن بان يحسنوا السيرة ويحكمون الرغبة بالعدل ويختم على المراسيم بخاتم الإمارة.[5]

2-التنظيم العسكري:

اعتنى عبد القادر بالشؤون العسكرية وأولاها اهتمامه فكان له جيش دائم حقق له أهدافه الداخلية والخارجيةن وحرض على حشد طاقاته البشرية والمادية في سبيل تحديث إمارته واغنائها، فنجح الى حد بعيد بفضل الأمن الذي نعمت به مقاطعاته، نظر إلى إمارته نظرة رجل الدولة المسؤول فعمل جاهدا التطوير المجتمع والنظام والاقتصاد، اهتم بإنشاء جيش منظم وقوي وزعه في كافة انحاء الدولة تحت إشراف خلفائه.

وقد تأثر في ترتيب وحداته غلى حد كبير بالقوانين الأجنبية الفرنسية والتركية واكسبته معاركه ضد القوات الفرنسية خبرة وتجربة، دفعته إلى تدريبها على احدث الأسلحة ووفقا

[1] الدكتور أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، ج2، ط3، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2005، ص 53.

[2] عبد القادر بوطالب الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية ، منشورات دار دحلب ، الجزائر، 2009.

[3] بسام العسلي، المرجع السابق، ص 169.

[4] عمار عمورة، نسبيل ندوة، المرجع السابق، ص 268.

[5] نفسه، ص 268.

للمبادئ[1] القتالية الاوربية وتشكيلاتها وأخضع عناصرها لقواعد دقيقة حددت واجباتهم وحقوقهم [2]، لم يسمح الأمير لقواته بشراء الأسلحة والذخيرة، انما حصر هذا العمل به وبمن ينتدبه واذا لم تف البنادق التي كانت تنتجها مصانعه في معسكر وتاغدمت منذ سنة 1838 بحاجة مشاته النظاميين زودهم ببنادق أغلبيتها فرنسية حصل عليها من الجزائر، تونس، مراكش ومن جند الدوائر والكتيبة الإفريقية ولكنهم لم يستعملوا البنادق ذات المغلاق بتاتا رغم سهولة الحصول عليها، كان للبندقية حرية في الرأس رفضها الجند في بادئ الأمر إلا أنهم أعادوا النظر في استعمالها وقبلوها في تمارينهم وحروبهم وحملوا جعبا للذخيرة ذات سعة الواحدة منها لثلاث علب من الخرطوش.[3]

وخصص فرسانه بالسيوف المراكشية من فاس، في حين رفض استعمال السيوف الاسبانية، كما صمم شراء كمية من المسدسات وتوزيعها عليهم فقط، بينما افتقرت بقية الجيش إلى هذا النوع من الأسلحة، أما خيولهم فطبع على كتفها الأيسر حرف S كما كان يطبع على الكتف الأيمن بعد التدريب وإذا قتل الحصان ولم يكن القائد موجودا أيقطع الفارس الحرف ويأخذه له اثباتا لذلك، وفي حال فقدان عدد من الخيول اثر معركة ما يصار إلى استبدال هذه الحيوانات بأخرى من المنطقة التي تحصل فيها المعركة.

1. **جيش عبد القادر:**

أ. **الجيش النظامي:**

هو جملة العسكريين الموجودين في الخدمة الفعلية والمتطوعين في ثلاثة أسلحة والحرس الأميري:

- الخيالة أو القوم الراكبون

[1] ف، دنينيزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، تر: تق: أبو العيد دودو، دار هومة الجزائر، 2009، ص ص 58-59.

[2] الدكتور أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، ج 2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2005، ص 73.

[3] الدكتور أديب حرب، المرجع السابق، ص74

- المشاة او العسكر المحمدي
- المدفعية أو الطوبجية
- الحرس الأميري.[1]

ويذكر "ليون روش" [2] عدد جيشي الأمير النظامي فيقول أنه بلغ إلى 14.460 نسمة منهم 3000 مشاة و100000 فارس و1.000 مخازني فارسي و400 فارس و60 مدفعيا يجرون ورائهم ستة مدافع أربعة منها من عبار 6 واثنان من الكبار، ولم يكن للجيش النظامي من السلاح سوى ثمانمائية بندقية ونحو الثلاثمائة قنبلة يدوية.[3] وجعل ملابس المشاة زرقا وملابس الفرسان حمرا، وليمد جنوده امدادا منظما بالعتاد والغذاء كون فرقة كبيرة خاصة من الرجال الأقوياء قدر عدد أفرادها بعشرة آلاف وعهد بحراستها إلى ستة آلاف مقاتل واطلق على مجموعهم اسم الزمالة، وأقاموا مع أفراد أسرهم في خيام متنقلة تتقدم بعد انتصاره وتتقهقر كلما حسر موقعه وهذا يدل على حسن قيادته وبعد نظره.[4]

ب.**الجيش المساعد او غير النظامي:**

شكلت قوات عبد القادر غير النظامية [5] القسم الأكبر من جيش اولاية، فكانت تسرع للإلتحاق بالوحدات النظامية لتقاتل في صفوفها عندما يدق التغير ثم تعود إلى ديارها فور انتهاء المهمات الموكلة إليها.

وجميع عناصر هذا الجيش كانت من القبائل المؤيدة للأمير والموزعة في مختلف أنحاء إمارته، يختارها خلفاؤها أحيانا للمحافظة على النظام والأمن داخل مقاطعتهم، واختلف

---

[1] المرجع نفسه، ص ص 74-75.

[2] ليون روش: جاسوس متأسلم تقرب من الأمير عبد القادر وأصبح كاتبا ومستشارا للامير عبد القادر ليجمع كل المعلومات لصالح الاحتلال الفرنسي وكشف للفرنسيين عن أسرار الأمير العسكرية والإستراتيجية، انظر: يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832- 1847، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1990، ص 27.

[3] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 291.

[4] عشراني سليمان، الأمير عبد القادر السياسي، ط3، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2009، ص 182.

[5] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 296.

عديد وحدات هذه القبائل من سنة إلى أخرى، فبلغ حوالي 83 ألف مقاتل هي مشاة وفرسان في 30 سبتمبر 1838 و53 ألفا عندما أعلن الأمير الحرب على الفرنسيين في 18 تشرين الثاني من العام التالي، وقد تعددت نسبة الفرسان فيها السبعين بالمائة 70%.

وشيد إلى جانب كل مدينة حصن يدافع عنها، وقال الدكتور عبد المجيد مزيان وزير الثقافة 1983 م لقد أدرك عبد القادر أن الساحل قد تزعزع نتيجة فشل مقاومة داي الجزائر حسين، فخطط لاسترجاع تلك الجهة ففتح الثغور في ميناء الغزوات وحاصر مدينة الجزائر من القليعة إلى جبال جرجرة واعتمد بالدرجة الأولى على عمق البلاد وحركة السكان وشيد الحصون التي سميت بمدن عبد القادر منها سبدو وسعيدة وداكمنت وبوغار، وقد تحدث الدكتور رشيد بورديبة بإسهاب عن الحصون في دولة الأمير فقال، " ما من شك في أن هذه التحصينات كان لها دور مهم في إستراتيجية من بين هذه الحصون حصن سبدوا الذي يدعي أيضا ثغراوة، بإشراف بوحميدي خليفة الأمير على تلمسان وكانت تحمي هذا الحصن تسع قطع مدفعية ويستطيع إيواء ثلاثة آلاف مقاتل من المشاة.[1]

وكان الطريق الذي يؤدي إليه شديد الوعورة كما ورد في رسالة (دوماس) التي بعث بها إلى رئيسه الجنرال غيهينيك في التاسع من جوان سنة 1839 م فكتب إليه قائلا: " ونحن لا نستطيع في معظم الأحيان متابعة بوحميدي إلا ان نسير بالتتابع على خط واحد" وأشاف: " إن سيدي مبارك ائتمر بأمر الأمير عبد القادر فبنى قلعة (بلال) وهو جبل يقع على مسافة يومين من مليانة حيث يستخرج الكبريت ويصنع البارود وأمر أيضا ببناء قلعة (شرشال) ووضع فيها حامية وعددا من المدفعية وكانت تصنع فيها القذائف، وقال الدكتور رشيد: " إن مصنع مليانة للأسلحة ما زال موجودا حتى الآن ولا تخلوا واجهة بنائه من موقد على الرغم من حالة التصدع بفعل الزمن وأمر عبد القادر أيضا ببناء قلعة في جبل بني سياسن على بعد أربعين كيلومترا جنوبي (مغنية) وكلف أحد المختصين فأنشأ مطحنة للبارود في قلعة

[1] الأميرة بديعة الحسني الجزائري، المرجع السابق، ص 31.

بني راشد على غرار مصنع تلمسان، وهذه القلعة كانت إلى الشرق من مدينة معسكر قرب البرج.[1]

لقد كان الأمير يقود ثورة مزدوجة ثورة دفاعية مسلحة وثورة اجتماعية اسلامية اكتسبت مقوماتها من القيم العربية الإسلامية العريقة لذلك نجد أن تلك الحروب لم تكن بين قوتين فحسب بل بين الخير والشر وبين العدل والظلم (الشر الأبيض) كما سماه الدكتور شاكر مصطفى [2]، ومنها بدأ عبد القادر مع من اختاره رحلة الجهاد الطويل والمقاومة المستمرة فنظم من العدم إمارته وألف من الصحف حيث خاض معه أصعب المعارك وبعزيمة لم تفتر يعني يخطط وينفذ ويسجل التضحيات، لكن انتصارات بيجو والخلافات الداخلية الجزائرية وتخلي المغرب عنه وعدم الاكتراث التونسي والتركي للوضع القائم أضعف الأمير وقاده إلى الاستسلام للدوق دومال بتاريخ 23 كانون الأول سنة 1847 م، وبانتهاء مقاومة ابن يحي الدين، انهارت إمارته وسقطت مبادئ ثورته وأخضع الجزائريون لنظام فرنسي دام مائة وثلاثين عاما تقريبا، وانتهى بتوقيع معاهدة ايفيان بتاريخ 18 أيار سنة 1962 واعلان الاستقلال في الأول من تموز من العام ذاته.[3]

[1] نفسه، ص ص 31-32.

[2] نفسه، ص 56.

[3] الدكتور أديب حرب، المرجع السابق، ص 607.

المبحث الثالث: حروبه وجهاده

1-معركة المقطع (26 حزيران يونيو 1835)

بمجيئ الحاكم العام الجديد الفرنسي الكونت دوري دورلون Derlon والجنرال تريزل Trezl الذي خلف الجنرال ديميشال [1] حيث لم يعترف هذا الأخير بسلطة الأمير وفي هذه الفترة قام رجل اسمه موسى بن الحسن ويعرف بـ "أبي عمار" جاء من قبيلة أولاد نايل ادعى بأنه المهدي المنتظر واستولى على المدينة [2] فيشير إليه الأمير عبد القادر بجيشه الذي اصطدم معه يوم 22 أبريل 1835 م فشتت جمعه وتمكن أبو العمار من القرار [3] واستولى عبد القادر على اقليم التيطري وسط التهاليل العامة وتمكن محمد البركاني خليفة على المدينة اما مليانة فقد كان عليها ابن علال المعروف ابن مبارك.[4]

وقد أزعج هذا التدخل الحاكم الفرنسي فطلب من الامير أن يقتصر عمله في الغرب الجزائري باستثناء مناطق النفوذ الفرنسي فرفض الامير[5]، وقتئذ نبذت الدواوير والزمالة التي كانت تقطن بالقرب من تلمسان طاعة الأمير وارتحلوا إلى قرب وهران فمنحهم تريز حاكم وهران الحماية رغم معارضة الحاكم العام وخرج الجنرال تريزل من وهران يوم 19 جوان 1835 م رفقة قواته المقدرة بخمسة آلاف جندي وتوغل داخل أراضي الإمارة خارقا معاهدة دي ميشال فعسكر بتليلات في محاولة للهجوم لكن قوات الأمير المؤلفة من ألف فارس كانت تراقب تحركاته فبادرت بالهجوم عليه يوم 28 جوان 1835 م في رافعة المقطع [6]

[1]شارلز هنري تشترشل، المصدر السابق، ص 126.

[2]العربي منور، المرجع السابق، ص 154.

[3]عمار عمورة، نبيل داودة، المرجع السابق، ص 271.

[4]شالزر هنري تتشرشل، المصدر السابق، ص 126.

[5]نفسه، ص 126.

[6]بسام العسلي، المرجع السابق، ص 212.

انهزم فيها تريزل شر الهزيمة في الأرواح والعتاد [1] حيث قتل وجرح أثناءها 500 جندي من بينهم العقيد أودينو الذي قتل في المعركة.[2]

فكان هذا الانتصار دوي كبير لدى الشعب الجزائري استبشر به خيرا أما بالنسبة للحكومة الفرنسية فاعتبرته عارا في جبين فرنسا.[3]

معركة سكاك أو الزقاق: (6 حزيران جوان 1836)

وصل الجنرال (دارلانج) بصعوبة كبيرة غلى (تافنة) يوم 16 نيسان أفريل 1836م، ومعه 3 آلاف جندي من المشاة وثماني قطع مدفية وبعد أن اكمل إقامة المعسكر الحسين على ضفة النهر تقدم في 21 من الشهر لفتح الطريق إلى تلمسان تنفيذا لتعليمات كلوزول، وعلم الأمير بالأمر فسار إلى (ندرومة) حيث يمكنه متابعة تحركات العدو من كل جهة في المكان الذي تتشعب منه الطريق من (تافنة) إلى تلمسان، فقطع جبال القبائل الممتدة حول (تافنة) ومضى محرضا للقبائل على الجهاد ثم توجه بجيشه واعترض العدو في وادي تافنة والتحم القتال بينهما نهارا كاملا.[4]

ثم ضرب الجنرال معسكره في الوادي ورتب صفوفه على هيئة قلعة ونزل الأمير بجنوده وضرب حصارا محكما حوله، وفي يوم (24 نيسان/ أبريل تهيأ الجنرال للانتقال من مكانه فجاءه المجاهدون من كل مكان وزحفوا إليه دفعة واحدة غير مبالين بنيران المشاة او قذائف المدفعية وصلوا إلى مرابض المدافع واستولوا عليها، وأخذ الجنرال بالانسحاب واستمرت قوات المجاهدين في مطاردته حتى أعجزته عن التحرك فقرر التوقف من جديد وأعاد تنظيم معسكره الدفاعي وعندما قرر استئناف المسير انقض عليه جند الأمير واستولوا على عتاده وقتلوا من جنده أعدادا كبيرة.[5]

---

[1] الحاج مصطفى بن التهامي، المصدر السابق، ص 107.

[2] عبد القادر بوطالب الأمير عبد القادر وبناء الأمة. الجزائري، منشورات دحلب الجزائر، 2009، ص 67.

[3] العربي منور، المرجع السابق، ص 154.

[4] بسام العسلي، المرجع السابق، ص 225.

[5] نفسه، ص 225.

ثم توجه الجنرال إلى تافنة يجر معه فلوله الممزقة فأعاد تنظيمهم، غير أن قوات المجاهدين لم تترك له فرصة للراحة وعادت فأحكمت الحصار حوله ومنعته من التحرك ولم يبق أمامه إلا أن يشق طريقه في صفوف المسلمين، حيث تعرضت بقية قواته للمزيد من التمدير وعندما وصل إى وهران أرسل إلى حكومته يعلمها بما نزل بقواته من الخسائر ويطلب إليها الدعم لإيقاف الموفق المتدهور [1]، تابعت الحكومة الفرنسية ارسال الإمدادات لقواتها في الجزائر، بعد أن اجمعت كافة التقارير على تصعيد المقاومة بصورة لم تكن متوقعة [2]، ووصل الجنرال بيجو[3] على رأس ثلاثة فرق عسكرية إلى تافنة يوم 6 حزيران/ يونيو 1836) وفي الحال شرع الفرنسيون [4] في تجديد محاولتهم لفتح الطريق إلى تلمسان بالقوة واخيرا نجحوا في هدفهم فقد حارب عبد القادر معركة طويلة ويائسة ضد القوات المغيرة على ضفاف الزقاق أو السكاك، ولكنه تعرض في هذه المرة لعزيمة كاملة، أدرك الأمير أن سبب هزيمته انما يعود إلى تخلي جنوده عنه وهو في اوج انتصاره وكانت هذه المرة الثالثة التي تتكرر فيها مثل هذه الظاهرة [5] وكذلك إلى قلة الذخيرة والأسلحة الفتاكة التي كان يستعملها الجيش الفرنسي وعدم انضباط المقاومين الجزائريين.[6]

المبحث الرابع: معاهدات الأمير عبد القادر

[1] بسام العسلي، المرجع السابق، ص 225.

[2] نفسه، ص 226.

[3] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 328.

[4] بسام العسلي، المرجع السابق، ص 226.

[5] نفسه، ص 226.

[6] عمار بحوش، المرجع السابق، ص 113.

أ- معاهدة عبد القادر دوميشال 26 فيفري 1834 م

ضمنت للامير عبد القادر وضعية الحاكم القوي [1] وهذا ما مكنه من وضع اللبنات الأولى لدولته التي استلمت آنذاك على مجمل الناحية الوهرانية وجهات التيطري باستثناء المناطق التي ظلت في يد الفرنسيين وهي مدن ونواحي وهران والمرسى الكبير وآرزيو ومستغانم بالإضافة إلى مدينة الجزائر.

وجهات سهل متيجة ومدينتي عنابة وبجاية فضلا عن أن هذه المعاهدة حققت للامير عبد القادر مكاسب عديدة.[2]

فقد ضمنت احترام عادات الجزائريين[3] وحرية عقيدتهم وسمحت بممارسة التجارة للطرفين واعترفت بحق الأمير في اقتناء السلاح والحصول على العتاد في المراكز الفرنسية، وأقرت ارجاع الجنود الهاربين إلى الامير أو الملتجئين عند الفرنسيين [4]كما اعتمدت نظام نظام بطاقات السفر (تذاكر) تحمل ختم الامير أو طابع القائد الفرنسي [5] وأسبغت على الأمير عبد القادر لقب (أمير المؤمنين) مما أكسبه صفة شرعية في تعامله مع الخارج[6]كما سمحت له بفك أسرى كثير من المسلمين كانو محتجزين عند الفرنسيين [7]فكانت معاهدة دي ميشال بداية فعلية لتعزيز قوة الأمير العسكري وتطوير عتاده الحربي [8] وبخاصة ما يتعلق بالبنادق البارود وبذلك استطاع الامير أن يفرغ المعاهدة من هدفها الرئيسي وهو احتواؤه ودفعه إلى التعامل مع الفرنسيين في إطار سياسة الاحتلال المحدود الذي يوفر على فرنسا

[1]يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعربن ج1، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 154.

[2]الدكتور ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 208.

[3]بسام العسيلي، المرجع السابق، ص206.

[4]شارل هنري تنشرشل، المصدر السابق،ص112.

[5]الدكتور أديب حرب، المرجع السابق، ص121

[6]بسام عسلي، المرجع السابق، ص208

[7]الدكتور عمار بحشوش، المرجع السابق، ص 111

[8]الدكتور ناصر الدين سعيدوين، المرجع السابق،ص208

المزيد من التضحيات والنفقات ولعل هذا مدفع الكاتب برنار إلى القول بخصوص معاهدة دي ميشال أراد أن يستخدم الأمير عبد القادر لكن الامير هو الذي استخدمه [1]

ب- معاهدة التافنة (30 ماي 1837)

توترت المكاتبات والمراسلات بين الطرفين وتواصلت المفاوضات والاقتراحات بين الأمير والسلطة الفرنسية وقد ناب عن الأمير في هذه المفاوضات وزير خارجيته المولود بن عراش ورافقه اليهودي ابن دران وتدخل في القضية الحاكم العام الفرنسي (دان ريمون) المقيم بالجزائر ثم فوض أمرها إلى الجنرال (بيجو) وحده، وكثر الأخذ والرد وساد سوء التفاهم بينهم أولا وكادت أن تصطدم عن ذلك حرب شعواء وأخيرا ارتأى الأمير أن لا مناص له من إمضاء معاهدة صلح على الشروط الآتية الذكر وهي المعاهدة المتهورة التي تحمل إسم النهر الذي انهزم عند مصبه الجيش الفرنسي (نهر تافنا) يوم 29 أفريل 1836.[2]

ودونك تنص المعاهدة :

- اعتراف الامير لفرنسا بالاستلاء على مدينتي الجزائر ووهران .
- يبقى لفرنسا في إقليم وهران كل من مدينة مستغانم ومزغران وأراضيها ووهران وأرزيو وأراضيها يجد ذلك شرقا ونهر المقطع والبحيرة التي يخرج منها جنوبا بخط يمتد من البحيرة المذكورة فيمر على الشط الجاري إلى الوادي المالح على مجرى نهر سيدي سعيد ومن هذا النهر إلى البحر بحيث يصير كل ماهو ضمن هذه الدائرة للفرنسيين [3]، ويبقى لفرنسا في إقليم الجزائر مدينة الجزائر مع الساحل وسهل متيجة، يجد ذلك شرقا وادي القدرة، أو وادي الخضراء وما فوقه وجنوبا رأس الجبل الاول من الأطلس الصغير إلى نهر الشفة مع اللبليدة وأراضيها وغربا نهر الشفة إلى كوع مزعران [4] ومن ثم بخط

[1] الدكتور ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص209

[2] عبد الرحمن بن مجد الجيلالي، المرجع السابق ص 335

[3] المرجع نفسه، ص 335

[4] شارلز هنري تتشرشل، المصدر السابق، ص 189

مستقيم إلى البحر فيكون ضمنه القليعة مع أراضيها بحيث يصير كل ما في داخل هذه الدائرة من الأرض لفرنسا [1]

- على دولة فرنسا أن تعترف بإمارة الامير على بقية إليم وهران وإقليم التيطري والقسم الذي لم يدخل في حكم فرنسا من إقليم مدينة الجزائر لجهة الشرق، بحسب التحديد المعين في المادة الثانية من هذه المعاهدة، ولا يسغ للأمير أن يمده لغيره ما ذكر من أرض الجزائر[2].
- ليس للأمير حكم ولا سلطة على المسلمين من أهل البلاد المملوكة لفرنسا ويباح للفرنسيين أن يسكنوا في مملكة الامير كما يباح للمسلمين أن يستوطنوا في البلاد التابعة لفرنسا [3].
- يمارس العرب الساكنون في الأراضي التابعة لفرنسا ديانتهم بحرية تامة ولهم أن يبنوا جوامع بحسب مذهبهم الديني تحت رئاسة علماء الدين الإسلامي [4].
- على الأمير أن يقدم للفرنسيين ثلاثين كيلة من القمح ومثلها من الشعير بكيال وهران وخمسة آلاف رأس من البقر، ويسلم ذلك كله في مدينة وهران ثلاث دفعات : الاولى من غزة شهر أوت إلى الخامس عشر من شهر سبتمبر سنة 1837م والقسطان الآخران يسلم كل واحد منها بانتهاء كل شهرين[5].
- يسوغ للأمير أن يشتري من فرنسا البارود والكبريت وسائر ما يحتاج إليه من الأسلحة[6].
- للكراغلة الذين يريدون الإقامة بتلمسان أو غيرها من المدن الإسلامية، لهم أن يتمتعو بأملاكهم بكمال الحرية ويعاملون معاملة المواطنين، والذين يريدون منهم الانتقال إلى الأراضي الفرنسية تكون لهم الرخصة على بيع أملاكهم وإيجارها بكل حرية [1] .

[1] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص336

[2] شاكر هنري تتشرشل، المصر السابق، ص159

[3] الدكتور أديب حرب، المرجع السابق، ص 319

[4] عمار عموره، نبيل داودوة، المرجع السابق، ص272

[5] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص336

[6] الدكتور أديب حرب، المرجع السابق، ص318

- تتخلى فرنسا للأمير عن مرسى أرشقون ومدينة تلمسان وقلعة المشور مع المدافع القديمة التي كانت فيها قديما [2]

ويتعهد الأمير بنقل الذخائر الحربية والأمتعة العسكرية الموجودة في تلمسان إلى وهران وذلك بالإضافة إلى العتاد الحربي التابع للحماية الفرنسية فكل ذلك ينتقل إلى وهران

- تكون التجارة حرة بين العرب والفرنسيين ويتمتع الجميع بحرية التبادل في البلاد[3]
- يكرم الفرنسيون العرب كما يكرم العرب الفرنسيين فيتبادلون الاحترام بينهم وكل ما إمتلكه أو سيمتلكه الفرنسيبون في بلاد العرب يكفل لهم حفظه بحيث يتمتعون به وبكل حرية ويلزم الأمير أن يدفع عنهم الضرر الذي تحدثه النوائب فيها.
- إنما يقع رد المجرمين من الطرفين بالتبادل
- يتعد الأمير بأن لا يعطي أحدا من الدول الأجنبية جانبا من الساحل الجزائري إلا بعد مشورة فرنسا.
- لا يسوغ بيع محصولات أو لوازم الإقليم ولا شراء إلا في الأسواق الفرنسية [4]
- لدولة فرنسا أن تعين في المدن التي في مملكة الأمير وكلاء ينظرون في شؤون الرعايا الفرنسيين وحل المشكلات التجارية فيما بينهم وبين العرب وطذلك الأمير أن يضع وكلاء من طرفه فيالمدن التي تحت إدارة دولة فرنسا[5].
- ونسخ من هذا الصك نسختان كل منها على شطرين فالشطر الأيمن باللغة العربية والشطر الأيسر باللغة الفرنسية وأمضى كل من الأمير والجنرال هذا الصك ووضع كل

1نفسه، ص318

[2]شارلز هنري تتشرشل، المصدر السابق، ص160

[3]نفسه، ص160

[4]عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص337

[5]المرجع نفسه، ص337

منها خاتمة تحت النص الذي هو بلغة وأرسلت المعاهدة هذه إلى ملك فرنسا (لوي فليب) فوقع عليها وأمضاها بتاريخ اليوم الخامس عشر من شهر جوان من هذه السنة[1].

[1]الدكتور أديب حرب، المرجع السابق، ص317

الفصل الثالث:
مقاومة الأمير عبد القادر ومنفاه

المبحث الأول: نهاية مقاومة الامير عبد القادر

1- المعركة الأخيرة:

بعد أن ترك الامير دائرته في منتصف شهر ديسمبر 1846م وتوجه إلى الصحراء التي وصلها في أوئل السنة التالية، فخلال شهر جانفي غزا ابن محي الدين مع رجال بني جسام أطراف هذه المنطقة الصحراوية ثم إجتاز نهر الأيسر فالمدية فسهل متيجة فجبال جرجرة حيث كان إبن سالم وأبو معزة ينتظرون وصوله هناك عاد وسار مع 500 فارس فقط نحو سهل متيجة وأخذ يهود منشآت الفرنسيين وقراهم[1].

وحدث ذلك في الوقت الذي كانت فيه قوات الحاكم العام تفتشي بين وادي الشلف وواحة عين ماضي[2]، و في النصف الأول من شهر فيفري أقام عبد القادر معسكره ثانية عند أقدام جبال جرجرة وأخذ يتحين الفرصة المناسبة لإستئناف هجماته على سهل المتيجة مجداد، لكن الفرنسيين كانوا السباقين هذه المرة، اذ احتلوا هذه الناحية فور عملهم يتمركز الامير فيها، مما أدى إلى إنسحابه نحو الغرب ليستعد للقتال في مكان آخر هناك، وخلال الفترة الممتدة من النصف الثاني من شهر فيفري حتى أواخر أفريل حصلت حادثتا استسلام أثرت على مستقبل ابن محي الدين وعجلت في إنهاء كفاحه وهما :

- الأولى بتاريخ 27 فيفري: إستسلم ابن سالم[3] للدوق دومال في سور الغزلان، وتخلى عن قيادة أية قوة جزائرية ضد الفرنسيين وقبل أن يقدم على هذا العمل أقسم منطقته إلى ناحيتين أو كل الأولى إلى شقيقة عمر بن سالم والثانية إلى بلقاسم أو قاسي[4].
- الثانية بتاريخ 13 أفريل: استسلم أوب معزة للجنرال سانت آرنوا فنقلته السلطات الفرنسية بعد ذلك [5] إلى باريس، فالمشرق العربي حيث قضى قسما من حياته أما شهر ماي

[1] الدكتور أديب حرب، المرجع السابق، ص567

[2] الدكتور أديب حرب، المرجع السابق، ص567

[3] محمد ابن الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص314

[4] الدكتور أديب، المرجع السابق، ص 568

[5] الأمير محمد بن الأمير عبد القادر الحسني، المصدر السابق، ص ص 313-314

وجوان فقد كانا أيضا حافلين بالفاجآت إذ قامت خلالها القوات المغربية بمضايقة ابن محي الدين بعد أن خشي سلطانها تأزم [1] الوضع مجددا مع فرنسا فأطلق عليه لقب " المشؤوم" وأمر بملاحقته أينما كان، وفي أواخر شهر ماي استولت بعض القبائل التي كانت تؤيد الامير على مئة بغل تحمل حيوبا لدائرته كما نفذت قبيلة الأحلاف بعد فترة وجيزة هجوما على قوات البوحميدي، أضف إلى ذلك مواجهة ابن الأحمر وعبد القادر في تافريست بتاريخ 7 جوان التي أدت إلى مقتل القائد المغربي وازدياد نقمة السلطان على ابن محي الدين[2].

وتعيينه ابن عبد الصادق واليا على الريف خلفا لابن الأحمر وتجنيده ثلاثة آلاف جندي بقيادة محمد الشرقاوي لتغطية منطقة شازة وفي هذا الوقت تعرضت كل من قبيلة بني عامر والدائرة للملاحقة والهجوم فبالنسبة للأولى وجه السلطان قبيلة الشرارة بإمرة إبراهيم بن أحمد الأكمل للقضاء على رجالها وإخضاع شيوخها. وحصلت مواجهة بين القبيلتين نتج عنها استسلام بني عامر وفقدان الأمير أهم قوة عسكرية كانت تمده بالمقاتلين أما بالنسبة لدائرته، فقد هاجمها رجال قبيلة القليعة فقتلوا بعض سكانا وأسرو عددا منهم.

فكانت خسارة الأمير كبيرة لأنه بدأ يشعر بحصار من الغرب وملاحقة القوات المغربية له، هذا على الصعيد المغربي، أما فيما يتعلق بالوضع الفرنسي خلال هذه المدة، فقد أعفي المارشال بيجو بتاريخ 23 جوان من منصبه بناء لطلبه[3].

وكلفت حكومة باريس الجنرال بيدو بتسيير شؤون البلاد مؤقتا، لكن ولاية المسؤول الجديد لم تطل كثيرا، إذ عينت إدارة الملك لوي فيليب بتاريخ 11سبتمبر الدوف دومال واليا أصيلا للجزائر.

[1] الدكتور أديب حرب، المرجع السابق، ص568

[2] نفسه، ص 569

[3] نفسه، ص569

وبعد أيام قليلة، ترك الحاكم العام الجيد باريس وتوجه إلى الجزائر التي وصلها في أوائل شهر أكتوبر وحتى أواخر سنة 1847م، أخذت أوضاع عبد القادر تسوء فاستحال عليه متابعة جهاده لقلة عديد رجاله واشتراك القوات الفرنسية والمغربية معا لملاحقته وتعقب دائرته [1]. وما ان وصل الدوف دومال إلى مركزه الجيد حتى شرع بإعداد الترتيبات الكفيلة للقضاء بصورة قاطعة ونهائية على الأمير، فطلب من عبد الرحمن تكثيف عملياته العسكرية ضد ابن محي الدين وعين لهذه الغاية قادة جدد للمقاطعة الجزائرية الاموريسيار في وهران ابيدو في قسنطينة اكافيناك في الجزائر [2] وأمر يوسف بالتقدم إلى عين ماضي، وينو باحتلال البيو في أي أراضي سيدي الشيخ [3].

وتوجه يوسف ورينو لتنفيذ مهمتها فتوغل الأول حتى ثوان وأخضع الثاني القبيلة المعنية له.

فأصبح الفرنسيون يسيطرون على الواحات والصحراء من غير منازع[4] أما السلطان عبد الرحمن، فقد جمع بدوره ثلاثين ألف مقاتل بقيادة والديه محمد وسليمان وقائد منطقتي الريف ووجدة وقرر مؤازره الفرنسيين للقبض على الأمير والسيطرة على دائرته وإزاء الخطر المحدق به إنتدب ابن محي الدين خليفته البو حميدي إلى مراكش لإقتناع مسؤوليها السماح للأمير بالإنسحاب إلى الصحراء، وصل البو حميدي إلى فاس في 27 أكتوبر واستقبله عبد الرحمن في 03 جانفي في قصره، وما أن بدات الفاوضات بينهما حتى إنهم مبعوث الامير يقتل ابن الاحمر فألقى القبض عليه وأدخل السجن، فمات فيه إثر تناوله السم[5]. وعلى الرغم من هذا الواقع المؤلم، فقد صمم عبد القادر على النتقام من السلطان وبدأ يستعد لذلك فجمع

[1] الدكتور أديب حرب، المرجع السابق، ص 570

[2] محمد ابن الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص316

[3] الدكتور أديب حرب، المرجع السابق، ص570

[4] نفسه، ص570

[5] محمد ابن الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص ص 320-321

ليل11-12 ديسمبر رجاله وأحضر جملين وشد[1] على ظهر كل منها حلفاء وتوجه إلى سلوان حيث كانت تعسكر قوات سيدي محمد وسليمان، وما أن اقترب من المغاربة حتى أشعل النار بالحلفاء ودفع بالجملين نحو المخيم المغربي وأمر أيضا بقرع الطبول لإحداث ما يمكن من الضجيج، ليدخل في ظن ولدي السلطان بأنه قادم لمواجهة جندهم بجيش كير العدد كثير العتاد.

وما هي إلا لحظات من بدأت المواجهة بين الجانبين فقدمت يوما كاملا[2]، وقد نتج عنها خسارة الأمير لمئة وخمسين نظاميا وإنسحابه إلى نهر المولوية لحماية دائرته من الزحف المغربي[3]، ومنذ هذا التاريخ بدات الأمور تتعقد وتسير من سيء إلى أسوء فما أن غابت شمس 18 ديسمبر حتى كانت جميع الطرقات على الحدود الجزائرية المغربية مقطوعة بوجه ابن محي الدين[4]، فتمركز أولاد السلطان على نهر ملوية مسافة بضعة كيلومترات عن الدرائرة، كما عسكر قاضي وجدة مع قواته في أراضي بني سناسن بعد أن تلقى من الجنرال لاموريسيار أعتده ذخيرة حربية كافية لمواجهة الأمير هذه هي الاحتياطات المغربية أما الفرنسيون فقد أرسلو الملازم الاول الصباهي بوكامية والملازم ابراهيم للتركز مع عناصرها في ممر جربوس الممر الوحيد والإجباري لإجتياز المنطقة وفي 19 ديسمبر حاول عبد القادر المرور في هذه الناحية فلم يفلح في ذلك لأن جميع المحاور الحدودية غير سالكة وآمنة أمامه [5].

2- استسلام الأمير عبد القادر:

فجمع في 22 ديسمبر أعضاء أركانه وهم: ابن التهامي قدور بن علال الآغابو كليكة ودرس معهم ما يتوجب عمله، وبنهاية المباحثات تبين أنهم أمام ثلاث خيارات هي:

[1] الدكتور أديب حرب، المرجع السابق، ص571

[2] محمد ابن الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص ص 321-322

[3] اديب حرب، المرجع السابق، ص571

[4] نفسه، ص572

[5] نفسه، ص572

- اجتياز ممر جربوس ومجابهة الفرنسيين المكلفين بحراسته.
- السير في الطرقات الجبلية الوعرة والصعبة المسالك رغم ما قد يتعرض سكان دائرته من مشقات ومتاعب.
- الاستسلام.

وفي هذه الأثناء استسلم سي مصطفى وسعيد، شقيقي عبد القادر للجنرال لاموريسيار، أصبح الوضع أكثر دقة وصعوبة والأقدم على مواجهة الفرنسيين أو التوغل في الجبال أمرا خطيرا [1]

واختار الأمير الحل الثالث أي الاستسلام [2]وللحال أرسل الأمير مندوبين إلى قائد مقاطعته وهران يحملون شروط الاستسلام التي وافق عليها المسؤول الفرنسي من غير تردد، وتتلخص بما يلي :

- التوجه مع جميع أفراد عائلته إلى عكا أو الاسكندرية
- السماح لمن يرغب في بالسفر معه من أقربائه وجنده إلى مقره الأخير.
- عدم التعرض لمن يختار البقاء في الجزائر للملاحقة أو الإهانة.

وهكذا انتقل ابن محي الدين صباح 23 ديسمبر إلى مرابط سيدي ابراهيم فستقبله أولا العقيد مونتبان ثم العميد كافينياك والجنرال لاموريسيال [3]

وعند الساعة 18 من ذات النهار كان الأمير في جامع الغزوات يسلم فرسه للدوف دومال عربونا لإستسلامه [4]والذي أكد له تنفيذ ما وعده به، وقبل ظهر 24 ديسمبر حضر عرض عسكري أقيم على شرفه وكانت المرة الأولى التي أجريت له مثل هذه التشريفات،

[1]الدكتور أديب حرب، المرجع السابق، ص572

[2]محمد ابن الأمير عبد القادر الحسين، المصدر السابق، ص ص 323-326

[3]الدكتور أديب حرب، المرجع السابق، ص573

[4]محمد ابن الأمير عبد القادر الحسين، المصدر السابق، ص 325

وفي 25 ديسمبر أخذ عبد القادر يستعد للإنتقال إلى فرنسا على متن الباخرة لاسمودا . lasmodee[1].

كان عام 1847 عاما مرايرا في تاريخ عبد القادر، فقد استسلم في نهاية للفرنسيين وانتهى بالتالي جهاده [2]

المبحث الثاني: منفاه

1- الأمير عبد القادرة في فرنسا:

لم تنفذ السلطات الفرنسية تعهدها بإرسال الأمير إلى الشرق، بل نقلته بتاريخ جانفي 1848م إلى طولون [3]، فسجن لاملك- lamamague الحربي[4] الذي يفي فيه من شهر جانفي 1848م إلى 14 افريل 1848م، فقلع بلوا Blois من 14 افريل إلى 23 افريل 1848م، فقصر أميواز amilois حيث أمضى أربع سنوات وستتة أشهر منتظرا الإفراج عنه.

وفي هذه الأثناء نشبن ثورة في باريس بتاريخ 28 فيفري 1848م. أطاحت بنظام الملك لوي فيليب، وتم على أثرها انتخاب لوي نابليون رئيسا للجمهورية في 10 ديسمبر 1848 وبعد فترة من الزمن[5]

أصبح الزعيم الجديد يعارض بشدة الأحزاب التي لم توافق في خريف 1852م على اقتراحاته بالعودة إلى الإمبراطورية، فتوجه إلى الشعور الوطني وقرر زيارة المقاطعة للحصول على تأييد الناخبين[6].

---

[1] الدكتور أديب حرب، المرجع السابق، ص573

[2] نفسه، ص7، 5

[3] الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص ص 192-193

[4] شارلز هنري تتشرشل، المصدر السابق، ص 321

[5] الدكتور أديب حرب، المرجع السابق، ص 575

[6] المرجع نفسه، ص575

وعندما وصل إلى مدينة بلوا Blois في أكتوبر، كتب إلى النقيب بواسونه Boissonnet المسؤولية عن قصر أمبواز مبدئيا رغبته بزيارة الأمير ومنقاشته بصدد وعد الضباط له في الجزائر قبل سجنه في حضن لاملك[1]. وبتاريخ 16 أكتوبر 1852م، حضر رئيس الجمهورية إلى قصر أمبواز وقابل عبد القادر. وتم إثر ذلك إطلاق سراحه واختيار الجهة التي يرغب التوجه إليها والإقامة فيها. فانتقل إلى باريس بتاريخ 27 أكتوبر 1852م حيث زار بعد ثلاثة أيام فقط الوي نابليون في قصر سان كلود[2]saint-cloud كمل شاهد عدة استعراضات في فرنسا[3]

وبعد أن حضر في 02 ديسمبر 1852م تتويج لوي نابليون إمبراطورا باسم نابليون الثالث[4]، ترك فرنسا في 21 ديسمبر 1852م وتوجه إلى الشرق وهنا بدأ ينتقل بحرية تامة، فزار إسطنبول من 7 جانفي 1852م إلى 12 جانفي 1853م، ثم مكث في بروس ثلاث سنوات ونيف من 12 جانفي 1853م إلى 24 أكتوبر 1856م[5]. ومن بعدها أقام في بيروت فترة وجيزة، ثم انتقل إلى الشام.

2-الأمير عبد القادر في دمشق

غادر الأمير بروسة وولى وجهته شطر دمشق الفيحاء عاصمة بني أمية، بنشد الراحة والاستقرار اللذين افتقدهما في بروسة خاصة بعد الزلزال العنيف الذي هز هذه الأخيرة 1855[6].

[1]شالز هنري تتشرشل، المصدر السابق، ص ص337-338

[2]بسام العسلي، المرجع السابق، ص257

[3]الدكتور أديب حرب، المرجع السابق، ص576

[4]محمد ابن الأمير عبد القادر الحسني، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر، ج2، بالمطبعة التجارية، عزوززي وجاوشي، الاسكندرية، مصر، 1903، ص47

[5]أديب حرب، المرجع السابق، ص576

[6]الاستاذ عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري و أدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، 2000، ص55.

وصل موكب الأمير عبد القادر وعائلته ومن انضم إليهم إلى دمشق في 06 ديسمبر1855م وقد قص الأمير بكل أمانة أخبار وصوله إلى دمشق لتوفل، ولسبس أو تشرشل إذ أن الرحلة لم تخل من بعض المفاجآت... وعبد القادر يدرك أنه اجتاز السلطنة العثمانية إلى بلاد الشام أي إلى بلاد عربية وهذا يغير كليا مظاهر الرؤية: فقد استقبل في كل مكان كبطل سواء في المنطقة اللبنانية الدرزية حيث كان ينتظره مئات الفرسان وهم يطلقون رشقات الرصاص تحية لمقدمه أوفي دمشق حيث خرج الناس ضاحية المدينة الغربية ليهتفوا له مرحبين[1]

و إثر دخوله دمشق توجه مباشرة إلى زيارة جامع الشيخ محي الدين بن عربي ثم اتخذ له سكنا بمعرفة والي دمشق وعرفت داره بدار السيد[2] وكانت تصرف بدار العزة باشا وأصلها القاضي محي الدين بن الزكي، وبنو الزكي هم الذين نزل بهم الشيخ محي بن عربي حينما قدم دمشق وتزوج منهم وساكنهم في هذه الدار ثم دفن بمقبرتهم في سفه قاسيون[3].

وبدأ الزوار يتوافدون إليه وكانت أحاديثه في لقاءات معهم تدور حول العلم والصلة الروحية بالله تعالى ولم يحدثهم عن نفسه، وأخذ الطريقة المولوية آنذاك عن الشيخ صبري شيخ الطريقة بدمشق، ولما رحل الأمير من بروسة قاصدا دمشق، أنعم عليه السلطان بألف كيس بدلا من الدار التي كان أهداه أباها، فاستترى بدمشق دارين واسعين[4] بينهما دار صغيرة في زقاق النقيب بالعمارة هدم إحداهن وعفى آثارها وإبتنى في موضعها دارا جميلة ولما تم بناؤها وأصلحت الداران الأخريات إنتقل من الدار التي استأجرتها الدولة العثمانية إليهن وذلك سنة 1274هـ وهنأه بسكناه الجديد الشعراء منهم حسن الدجاني وأمين الجندي وغيرهما، ثم اشترى بدمشق سبع دور أخرى جعل إحداهن منزلا لأضيافه وعدة دور في محلة

[1] برونو إتيين (BRUNOETIENNE)، الأمير عبد القادرالجزائري، ترجمة المهندس ميشيل خوري، ط1، دار الفارابي بيروت، لبنان، 1997، ص288

[2] نزار أباظة الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، ط1، دار الفكر بدمشق، سورية، 1994، ص15

[3] محمد ابن الأمير عبد القادر الحسني، المصدر السابق، ص66

[4] نزار أباضة، المرجع السابق، ص15

العمارة البرانية جعل بعضهما حديقة مقابلة للدور وكان بردى يمر بين الدور والحديقة واشترى مزرعة بدير بحدل بالغوطة وعمر بها بيتا وأرضا في أشرفية صحنايا وأرضا في أشرفية صحنايا وأرضا في قرية فرحتا بطرف الغوضة ومزرعة بلاس وطاحونة الإحدى عشرية وخان الصعب بالعمارة[1] وأرضا بوادي دمر وبني فيه قصرا لمصيفه، ولما تم بناؤه صنع وكسيرة ودعا إليها العلماء والأعيان وقرؤوا بعدها شيئا من صحيح البخاري للتبرك وهناه الشعراء بالقمر في قصائدهم ومنهم الشاعر عبد الغني الرافعي الطرابلسي[2]. وفي سنة 1273هـ توجه إلى بيت المقدس والخليل للزيارة وذهب من طريق صفد ورجع من طريق حوران ومدحه الشاعر حسن الدجاني حين توجه إلى يافا إجابة لطلب مفتيها بقصدية مطلعها نذكر منها بيتين:

عهدنا بغرب مطلع البدر مشرقاوإنا نراه الن قد لاح مشرقا**

وللغرب أصل الفضل إذ هو مطلعوإن يك بدر التم في الشرق أشرقنا[3]**

وفي شهر رمضان من السنة نفسها قرأ (صحيح البخاري) في مدرسة دار الحديث الأشرفية وكتاب (الإتقان) وكتاب (الإبريز) في المدرسة الجمقمفية، ثم في شهر رمضان من سنة 1275هـ اعتكف في الجامع الأموي، وقرأ كتاب [4](الشفا) والصحيحين في مشهد سيدنا الحسين رضي الله عنه[5] لقد بدا الأمير كفاحه في خدمة العلوم الفقهية وخدمة الإنسانية وكان يحب العلم والعلماء الذين ما إن استقر به المقام حتى احتضنهم وحسن حياتهم وزاد إنتاجهم العلمي واستطاع أن يوجد مناخا من الحرية وحال دون عاديا السلطة على الشعب وأقام الندوات العلمية والفقهية والدراسات الدينية في الجامع الأموي وساعد في رفع الظلم عن الكثير من المضظهدين وخصص رواتب سخية في كل شهر للعلماء الصالحين والمحتاجين

[1]المرجع نفسه، ص16

[2]نزار أباظة، المرجع السابق، ص16

[3]محمد ابن الأمير عبد القادر الحسني، المصدر السابق، ص67

[4]نزار أباظة، المرجع السابق، ص16

[5]نفسه، ص16

وتفرغ للعبادة والتأليف وخدمة الناس وألف كتاب " المقرض الحاد" لما كان في سجنه وراجعه في دمشق ونظم ديوانا من شعره الرفيق سماه " نزهة الخاطر" ومجموعة من الكتب[1]، وأهتم العلماء بهذه الكتب وتفريظها ومناقشتها من قبل رجال الفكر وأدرجت جمعية العلماء في باريس اسمه من بين أسماء العلماء والعظماء في " ديوان الأمم"[2]

وكانت أماكن ندوات ومحاضرات وحلقات الأمير عبد القادر تتغير من حين إلى آخر حسب الظروف المتاحة، فكانت أحيانا في مدرسة الأشرفية الشهيرة الآن بدار الحديث الشؤون أو في المدرسة الجمقمفية وأحيانا في الجامع الأموي[3]، لكن كان في أكثر الأحيان يدرس ويحاضر في منزله الذي غدا في دمشق مأوى لعباد الرحمن الذين نتجا في جنوبهم عن المضاجع ولا يشغلهم شاغل عن نهل العلوم وذكر ربي العالمين وأصبح هو مركز اهتمام العلماء والمثقفين[4] وقيل الفقهاء وكل من يريد معرفة فتوى أو رأي في قضية فقهية وفي السبت الأخيرة من حياته كان إذا حل شهر رمضان المبارك يذهب إلى مزرعته في أشرفية صحنايا من ضوضاء المدينة وزوارها[5] ويمضي أواخر الشهر معتكفا في غرفة صغيرة منعزلا عن الناس لا يدخل عليه سوى الخادم الذي يقوم بخدمته قائما لليل ويرتل القرآن ويصلي ولم يكن طعامه سوى الحليب والتمر والزبيب.

و انفتح الأمير على ثقافات بلاد الشام والمشرق المتنوعة التي كان ينظر لها مجموعة من المفكرين والمصلحين وجملة من المثقفين من خريجي مدارس الإرساليات المسيحية التعلمية ومن زيادة المتعلمين من أمثال ناصيف البازجي الذي توفي عام 1871م صاحب كتال مجمع البحرين الذي حاكى فيه مقامات الحريري وبطرس البساني الذي توفي

[1] علي بن محمد الصلابي، المرجع السابق، ص ص 281-282

[2] نفسه، ص282

[3] الأميرة بديعة الحسني الجزائرية، المرجع السابق، ص40

[4] شارلز هنري تتشرشل، المصدر السابق، ص ص 351-352

[5] علي بن محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 282

عام[1]1883م الذي ارتبط اسمه بدائرة المعارف التي عمل على إخراجها وأتمها بعده أولاده كما تأثر بحركة الطباعة ونشر الكتب وتأسيس الصحف ودورها في نشر الثقافة الحديثة والوعي السياسي والاجتماعي[2]

وكان في طليعة النشريات التي أثرت الحياة الثقافية جريدة الاحوال التي صدرت بدمشق 1855م وجريدة الأخبار الصادرة ببيروت عام 1857م كما تأثر الأمير في دمشق والشام بمحيطها وعمقها الطبيعي العربي وتكامل إنتاجها الفكري بانتاج المؤرخين والكتاب خريجي بعثات محمد علي إلى أوروبا كالترجمات والمؤلفات العلمية والتاريخية مثل العلامة علي مبارك والشيخ رفاعة الطهطاوي صاحب الكتاب المشهور تخليص الإبريز[3] في تخليص بارين وإبراهيم الدسوفي وعبد الله أبو السعود وصالح مجدي وغيرهم[4].

كما تخرج على يدي الأمير عبد القادر كثير من الشباب تأثروا بسيرته الجهادية وبعمله وأدبه ومنهجه وأصبحوا فيما بعد من العلماء واستمروا على ذلك النهج[5].

- **نهاية المقاومة الأمير عبد القادر ومنفاه:**

وطوروه واتسعوا به ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر: عبد الرزاق البيطار المولود عام 1837م، والذي بات من علماء الشام المشهورين في وفاته عام 11912م.

- الطاهر الجزائري ابن الشيخ صالح السمعوين الذي ولد عام 1852م وتوفي عام 1920.
- الشيخ عبد الغني بن طالب بن حمادة بن براهيم الغنيمي الدمشقي من موالد 1807م وتوفي 1881.[6]وأما عن علاقة الأمير بن عماد الإصلاح والتجديد فقد كان مواكبا للتطورات التي حدثت في عهده وتواصل مع شخصيات إسلامية لها مكانتها في الجهاد

[1]نفسه، ص282

[2]نفسه، ص283

[3]علي بن محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 283.

[4]الدكتور أحمد كمال الجزائر، المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر و السادة الاولياء الأكابر اتف: محمد زكي إبراهيم، ط1 مطبعة العمرانية للأوفست، المعادي، القاهرة 1997، ص 40.

[5]علي بن محمد الصلاي، المرجع السابق، ص 306.

[6]نفسه، ص 307.

والإصلاح أمثال الشيخ كامل الراغستاني وخير الدين التونسي والشيخ محمد عبده الذي يبدوا أنه جالس الأمير عدة مرات[1].

[1] نفسه، ص 308.

المبحث الثالث: نهاية مقاومة الأمير عبد القادر المسلحة ومنفاه:

عندما كان الشيخ منفيا في بيروت، ولا شك أن الشيخ محمد بعده تحدث مع الأمير في التجديد والاصلاح وعن جمال الدين الأفغاني وجمعية العروة الوثقى، وأما ميل الأمير للإصلاح الإسلامي فيظهر في الرسائل المتبادلة بينه وبين خير الدين باشا التونسي صاحب كتاب "أقوم المسالك" فقد أهدى خير الدين كتابه إلى الأمير عبد القادر فقرأه وأعجب بمحتواه وآراء صاحبه[1] وكان الأمير عبد القادر مهمتا يدعم الدولة العثمانية والتواصل مع خلفائها وسلاطينها فهي شهر جوان من عام 1865م عزم على السفر إلى الاتانة لزيارة الخليفة السلطان عبد العزيز خان فاستقبلها وأكرمه وكبر به فطلب منه أن يصفح ويسرح المنفيين إلى جزيرتي قبرص ورودس اليونانية من الذين تورطوا في أحداث 1860م بالشام، فلبى رجاؤه وصدر الأمر العالي بتسريحهم[2].

لقد كانت حياة الأمير عبد القادر مجموعة من المآثر الخالدة وأصبح بعد أن قضى على الفتنة الطائفية في سوريا محط أنظار العالم وأمل دعاة استقلال العرب عن الدولة العثمانية التي تتالت هزائمها أمام روسيا[3] فاجتمعت الطليعة في بلاد الشام وبحثوا مصير سوريا وعقدوا المؤتمرات السرية في دمشق سنة 1877م واقترحوا فصل البلاد عن الدولة العثمانية وتنصيب الأمير عبد القادر ملكا عليها لأنهم وجدوا فيه أملهم الوحيد لما يتمتع به من هيبة واحترام عند العثمانيين والعرب على حد ساء وبعد قضائه على الفتنة الطائفية نال تقدير جميع الدول الأجنبية واحترامها وهو الذي سبق له أن أنشأ دولة وقاد أمة وهو بالإضافة إلى دول العالم ذو المقام العالي والمجاهد ذو النسب الشريف.[4]

[1] علي بن محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 308.

[2] نفسه، ص 336.

[3] علي بن محمد الصلاي، المرجع السابق، ص 336.

[4] نزار أباظة المرجع السابق، ص 28.

وعندما عرض على الأمير هذا الموضوع لم يتحمس له ولم يرفضه ولكنه تصح أن يظل الارتباط الروحي بين البلاد الشامية والخلافة العثمانية قائما[1] وبدأت رسائل الزعماء اللبنانيين تتوارد على الأمير مبايعة ومنها رسالة من الزعيم اللبناني يوسف كرم الذي كان منفيا في إيطاليا وأما المشروع الفرنسي الذي كان يرمي إلى انشاء إمبراطورية عربية تمتد من شمالي بلاد الشام حتى قطاع عكا برأسها الأمير عبد القادر فقد رفضه بشدة في سنة 1860م أرفض الأمير عبد القادر هذا المشروع لأنه مطالب فرنسي استعماري وبعد سبع سنوات عندما ظهر المشروع العربي القومي تردد أيضا في قبوله لأنه كان يحترم الخلافة الإسلامية من منطلق ديني[2].

وكان عدم تحمس الأمير لهذا الأمر ناشئا احترامه لمبدأ الخلافة[3]، الإسلامية ثم جاء مؤتمر برلين وتولى عبد الحميد الخلافة وأصبح سلطانا فتأخر والحل العربي.

2. موقف الأمير عبد القادر من الفتنة الطائفية بدمشق:

- وضع الطوائف في بلاد الشام:

بلاد الشام تتميز بتنوع الطوائف واختلاف المذاهب وتباين العقائد ففيها الأغلبية المسلمة السنية وفيها الشيعة والمسيحية التابعة لكنيسة روما من اليونان الأرثوذوكس والأرمن والجورجيين واليعقوبيين والروتستانت ثم الأقلية اليهودية وقد كان للموازنة الكاثوليك وضع خاص لارتباطهم بكنيسة روما مباشرة ولصلاتهم المتميزة مع دولة فرنسا والعدد الأكبر من هذه الطوائف يتركز في جبل لبنان وفي فترة حكم محمد علي للشام.[4]

في الأربعينيات من القرن التاسع عشر قام ابنه إبراهيم باشا باعتماد أسلوب إداري يقوم على مبدأ المساواة بين الطوائف في المعاملات الأمر الذي أخل التوازن المتوارث وأصر بالامتيازات والمكتسبات الاقتصادية والاجتماعية التي حققتها بعض الفئات على حساب

[1] نزار أباظة، المرجع السابق، ص 228.

[2] علي بن محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 336.

[3] نزار أباظة المرجع السابق، ص 28.

[4] علي بن محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 337.

الأخرى فكان ذلك تمهيدا لتعاون بعض الطوائف مع الدول الأوروبية مباشرة والتزود منها بالسلاح والمال دون اعتبار مصالح الدولة العثمانية وسيادتها نسمح للإنجليز بالاتصال بطائفة الدروزا بينها ساندت فرنسا الطائفة المارونسية وشجعتها على الوقوف ضد من يم بمصالحها مما هيا الظروف للبداية حدوث الإضطرابات بعد ذلك بين طائفتي الدروز والموازنة منذ عام 1845م[1] وبعد أن أصدر السلطان عبد المجيد عام 1856م مراسيم عرفت بالخط الهمايوني الذي أقر نهائيا المساواة بين أفراد مختلف الملل والطوائف والأديان مع المحافظة على أحوالهم الشخصية[2].

أصبحت الأوضاع في مجمل بلاد الشام وخاصة مع حلول علم 1857م تنذر بإنفجار خطير بدات شرارته بعدما إستولى فلاحون موارنة في شمال جبل لبنان على أراضي الإقطاعيين وامتنع موارنة الجنوب عن دفع الإيجارات إلى الملاك من الدروز [3] وشتعلت الفتنة الطائفية في بلاد الشام في شهر جوان عام 1860م [4] واعتدى بعض الموارنة على الدروز فقام الدروز والغوغاء من الناس بإيعاز من بعض أشباه المشايخ وكبار القوم الذين يظنون أن أصل دين الأسلام الغلضة والقسوة والبلادة والجفوة حجتهم في ذلك تجبر النصارى وتكبرهم وتجاوزهم حدهم وخروجهم عن العهود الزمنية وتعلقهم بالدول الأجنبية، فراحوا يأخذون في كل حدب وصوب الثأر بالخرف والقتل والسلب ونهب الأهالي المسيحيين والراهبات والمبعوثين الفرنساويين [5] في جبل لبنان وطرابلس وحيدا وزحلة ودير [6] القمر واللاذقية وغيرها، وعاثوا في الأرض فسادا وفسقوا وعتدو على البنين والبنات وخربوا القرى والمدن وسفكوا الدماء ونهبوا الأموال ومالو عليهم كل الميل وبادرت لمساعدتهم والغنيمة

[1] علي بن محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 337.

[2] شار لزهنري تتشرشل، المصدر السابق، ص 352.

[3] علي بن محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 337.

[4] برنو إتيين، المصدر السابق، ص 314

[5] علي بن محمد الصلابي، المرجع السابق، ص337

[6] محمد بن الأمير عبد القادر الحسني ، المصدر السابق، ص 93

معهم فرسان دروز الجبل الشرقي تذبح النصارى ذبح الأغنام وتعتدي على الأموال والأولاد ودام هذا الأمر إلى غاية عيد الأضحى في شهر جويلية من عام 1860م ولما هرب كثير من النصارى إلى دمشق ضانين أن الحكومة سوف تحميهم من بطش الدروز تغاضت الحكومة في بداية الأمر عن ذلك فزاد الدروز من طغيانهم وبطشهم والتخويف والتهديد والتنكيل بمن فر أو سكن في دمشق [1]

- **رد فعل الأمير عبد القادر بن محي الدين الحسني :**

لاحظ الأمير أن الأمر قد خرج من أيدي الأعيان الوجهاء وكان الأمير قد أعد للأمر عدته [2]، وتأهب لكل إحتمال معاد فجمع كل قادر على حمل السلاح من المهاجرين الجزائرين وشترى لهم السلاح [3]، وكان قد قام بتدريبهم على إخماد الحرائق وعلى عمليات الإنقاذ الأولى وعندما تناهى إلى مسامعه ذات صباح أن الجموع تتجه نحو حي القصاع [4]، إستدعى فرسانه الأشداء وخرج هو وأبناؤه كلهم وقام بنفسه بحملة إخماد الفتنة الطائفية [5] ووزع المهمات على رجاله من شرفاء الناس وعلماء المسلمين وخبرائهم وغيرهم من أبناء دمشق المخلفين إلى حماية ما إستطاع من المعتدى عليهم وإخماد الفتنة [6]، وفتح وفتح داره وبذل كامل همته بأمواله ورجاله وسلاحه في خلاص من قدر عليه المهالك ومرافقة من كان خارج الميدان إلى حض الأمان في القلعة التي خصصها الوالي لحمايتهم[7]، فكان الأمير وأتباعه من سكان الشام يطوفون على من كان في الميدان في سلامة وأمان ويذودون عليهم ليل نهار يحرسون النصارى من الأشفياء والأشوار وكان يواسيهم ويهنيهم بالسلامة ويطيب قلوبهم بالأمن والأمان. وكان الأمير قد أصدر أوامره لدراسة أبنية السفارات الأجنبية في

[1] علي بن محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 338

[2] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص 71-72

[3] برنو إتيين، المصدر السابق ص 314

[4] علي بن محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 338

[5] بسام العسلي، المرجع السابق، ص 259

[6] د.يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص71

[7] برونواتيين، المصدر نفسه، ص317

دمشق ونقل البعثات والدبلوماسيين إلى دور الأمير في العمارة " رقلق النقيب" وأشرف بنفسه على عمليات الإنقاذ وإخماد الحرائق[1] التي بدأت تشتعل في بعض منازل في حي القصاع وكان جنود الأمير يقتحمون النيران لإنقاذ السكان ونقل الأمهات والأطفال إلى الأديرة وكان الأمير يتجول بين الأحياء غير مبال برصاص القناصة والطلقات الطائشة وهو على ظهر حصانه يصدر الأوامر حتى بلغ عدد من نقلوا إلى دوره في حي العمارة[2] خمسة عشر ألفا[3] بين رجل وامرأته وعندما غصت الدار بهذا العدد الكبير من السكان نقل بعضهم إلى القلعة. وفي اليوم الثالث من تلك الأحداث الفضيعة قامت الجموع بمهاجمة حي العمارة فخرج إليهم الأمير وما أن وقعت عليه الأنظار حتى ألقى الله الرعب في قلوب الجموع المهاجمة فعادوا من حيث أتوا وقبض فرسان الأمير على بعض منهم وكم كانت دهشة الأمير كبيرة عندما اكتشف أن بينهم عددا من المسيحيين اللبنانيين فسأل[4] شابا كان يتقد حماسة هستيرية ما الذي جاء بع إلى هذه المعركة المشينة؟ فأجاب بعد نقاش معه: وما السبيل إلى القضاء على هذه الدولة العثمانية سوى جعل الحكم غير مستقر في البلاد[5] وزعزعة أركانه إن فرنسا تزيد الأخذ بيدنا نحو حضارتها وما جنودها في ميناء بيروت سوى رسل لهذه الحضارة، أمر الأمير عبد القادر بإخلاء سبيل هؤلاء وراعه أن يجد البلاد قد أصبحت في محنة حقيقية وكان عليه معالجة الأمر بما اوتي من شجاعة وحكمة وموهبة في القيادة والحوار مع الأقطاب الحكومات الأوروبية[6].

[1] شارلز هنري تتشرشل، المصدر السابق، ص358

[2] علي بن محمد الصلابي، المرجع السابق، ص339

[3] الأستاذ عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، ص58

[4] علي بن محمد الصلابي، المرجع السابق، ص339

[5] نفسه، ص339

[6] نفسه، ص340

وقوف الأمير ضد مخططات فرنسا في الشام:

احتجت الدول الأوروبية وهددت بالتدخل ففي 2 أوت 1860م اتفقت الدول الأوروبية على الوقوف بجانب النصارى وحمايتهم عن قرب وكانت ذريعة مباشرة لاحتلال الشام[1] فتطوعت فرنسا لذلك ولكونها المشرفة على الكنائس في بيت المقدس وراحت بعد أسبوع ترسو بأسطولها الحربي في ميناء بيروت[2] وتنزل قواتها وتهدد الدروز بتأديبهم وقصف دمشق وبذل الأمير كل ما في وسعه لتفادي الاحتلال[3] وبعد أن تأكد الأمير أن القوات الفرنسية وصلت إلى رياق في طريقها إلى دمشق، إمتضى صهوة جواده خفية وأخذ يقطع الجبال والوديان لا يهاب وحشة الليل أو وعرة الطريق وعندما وصل إلى قرية" قب إلياس" أرسل من يخبر الجنرال" بوفور" قائد الحملة الفرنسية بوجوب الاجتماع بع وعين المكان وكان مشهدا للقاء جزائري، فرنسي على مستوى سياسي وعسكري وطلب الأمير من الجنرال أن يخبر حكومته بأن تعهد من قبل الأمير للإمبراطور لويس فيليب بعدم العودة إلى الجزائر وأن الأمير سيكون أول المقاومين لأي حملة عسكرية تهاجم البلاد[4] وكان على الجنرال أن يخبر حكومته التي أعادت حساباتها بعد هذا الإنذار، لأن إلغاء التعهد يعني احتمال عودة الأمير عبد القادر[5] إلى الجزائر وعودة الحرب الضروس إليها هذه الفتنة التي كان المحتمل أن يذهب ضحيتها عشرات الآلاف من أبناء حي القصاع في دمشق في سبيل مخطط استعماري كان هدفه احتلال سوريا ولبنان بحجة الدفاع عن المسيحيين وإنقاذهم ولكن الأمير عبد القادر كان لهؤولاء المستعمرين بالمرصاد فعمل على إخفاق ذلك المخطط وقضى على

[1] علي بن محمد الصلابي، المرجع السابق، ص340

[2] د، يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص72

[3] محمد ابن الأمير عبد القادر الحسني، المصدر السابق، ص95

[4] علي بن محمد الصلابي، المرجع السابق، ص340

[5] نفسه، ص341

المؤامرات التي دبرت بليل[1] وأسرعت الدولة العثمانية فأرسلت فؤاد باشا وزير الخارجية إلى دمشق وفوضت إليه الأمر المطلق للقضاء على الفتنة فأجرى الأحكام العرفية وقبض على الألوف من أهلها غوغائها ومشايخها وكبرائها ورؤساء مجالسها وبعض باشاوات العسكر فأمر بك المسلوبات وأخذ القصاص من المعتدين وأعدم وسجن ونفي من ثبت عليه الجرم[2]

وقامت عليه البينة وبعدها جرى الاتفاق مع فؤاد باشا على أن يعوض المسيحيون كل ما خسروه ومنع أهل الجبل حكومة مستقلة تحت سيادة الدولة العثمانية، يرأسها رجل نصراني لمدة ثلاث سنوات اقترحته الدولة العثمانية ووافقت عليه أوروبا واستبت الأوضاع[3] وانسحبت فرنسا[4] بقواتها في بداية صيف 1861م وكفى الله المؤمنين القتال وقد طلب فؤاد باشا وزير الخارجية من الأمير عبد القادر السماح لع بتعيين كتيبة مسلحة من المهاجرين الجزائريين مهمتها الحفاظ على الأمن في دمشق وضواحيها وعين قائدا لها محمد بن فريحة احد أبناء عم الأمير عبد القادر[5] وأجرى استعراضا عسكريا تقديرا على جهوده في وأد الفتنة وتقدمت تلك الكتيبة الجزائرية بأسلحتها ذلك العرض[6]

الملوك والحكام يشكرون الأمير على فعله الجميل

أرسل الخليفة العثماني المجيدي العالي الهمايوني من الرتبة الأولى[7] إلى الأمير عبد القادر مع رسالة تقدير حملها إليه الصدر الأعظم علي باشا في السابع من صفر 1277هـ الموافق ل1860م وكان مع فرمان الشكر والعرفان مكافأة مادية ثم توالت وسائل الشكر

[1] الأميرة بديعة الحسني الجزائري، المرجع السابق، ص40

[2] علي بن محمد الصلابي، المرجع السابق، ص341

[3] نفسه، ص341

[4] الأميرة بديعة الحسني الجزائري، المرجع السابق، ص40

[5] علي بن محمد الصلابي، المرجع السابق، ص341

[6] نفسه، ص342

[7] محمد ابن الأمير عبد القادر الحسني، المصدر السابق، ص96

وقصائد التهنئة من الأدباء والشعراء والعلماء والأعيان المسلمين وغيرهم[1] منها رسالة من المجاهد الكبير قائد الجهاد في داغستان والشبشان الشيخ محمد شامل رحمه الله[2] وأما النياشين والتشريفات والهدايا الأجنبية فكانت كالتالي:

- هدية من الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا الكبرى[3] كانت بندقية مكتوبا على ظهر صندوقها عبارة: من حضرة ملكة المملكة المتحدة البريطانية العظمى إلى صاحب السمو الأمير عبد القادر تذكارا للمساعدة الخيرية المبذولة للمسيحيين في دمشق سنة 1860م[4] كانت الهدية مرفقة برسالة حررها فمصل دولة إنجلترا في دمشق المكلف من الحكومة الانجليزية مؤرخة في أوت 1860م
- نيشان وسام الشرف من الرتبة الأولى من إمبراطور فرنسا نابليون الثالث، مرفق برسالة من وزير خارجية فرنسا عن الإمبراطور مؤرخة في 31 أوت 1860[5]
- النيشان الكبير رتبة أولى المدعو بنيشان المخلص من ملك اليونان أوتون الأول استلمه 30 شهر سبتمبر 1860م[6] .
- نيشان موريس والعاذر من قاربيا لدى ملك إيطاليا الجديدة وهو أقدم نياشين الخيولية والفروسية استلمه في شهر سبتمبر عام 1860.[7]
- نيشان صليب النسر الأحمر من الطبعة الأولى من غيوم الأول: ملك بروسيا، استلمه في 12 نوفمبر 1860.[1]

---

[1] محمد شاطو، التسامح الإسلامي المسيحي من خلال مسيرة الأمير عبد القادر الجزائري 1832-1883م، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية: مجلد:10 عدد1 جوان 2019 المركز الجامعي نور البشير بالبيض، الجزائر، ص394

[2] علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص594.

[3] علي بن محمد الصلابي، ص342.

[4] بركات عمار، دور التجربة الصوفية في تأسيس الأبعاد الانسانية: الأمير عبد القادر ومهاتما غاندي.كأنموذج، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية مجلد: 10 عدد 02 ديسمبر 2019، جامعة معسكر، الجزائر، ص ص466-467.

[5] محمد ابن الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص98.

[6] محمد شاطو، المرجع السابق، ص401.

[7] محمد ابن الأمير عبد القادر الحسني، المصدر السابق، ص 99.

- نيشان النسر الأبيض أعظم فرسان رتبة من طرف الملك الكسندر الثاني قيصر الروس استلمه في جانفي 1861.[2]

وقد وضع كل هذه الأوسمة على صدري وأخذت صورا فوتوغرافية بها وهي الأوسمة التي قلدها الخليفة العثماني وضعها في أعلى الصدر وإلى أسف منها بقية النياشين ولم تكن هذه الصور بالنياشين[3] للتزين والتفاخر كان الغرض منها أن تنشر في الصحف الأوربية والعالم، فيرى الناس صورة المسلم الحقيقي الداعية للسلم والأمان.[4]

الأمير عبد القادر والجمعية الفرماسونية [5]

في نوفمبر من عام 1869م دعا اسماعيل باشا خديوي مصر الأمير عبد القادر لحضور حفل افتتاح قناة السويس [6] فتوجه الأمير إلى بيروت ومنها إلى الإسكندرية حيث اجتمع بأباطرة فرنسا والنمسا وألمانيا وملك إيطاليا وعلى متن بارجة حربية وصلوا إلى ميناء بور سعيد لحضور ذلك الاحتفال التاريخي الكبير.

وفي تلك المناسبة زاره في مقر إقامته عدد كبير من الشخصيات العالمية وكبار رجال الفكر[7]، ومندوبو بعض الجمعيات الخيرية كالجمعية الفرنسية المعروفة باسم (جمعية عمل الخير وإعانة المصابين[8]، في البر والبحر، وكانت هذه الجمعية قد أرسلت للأمير عام 1860 م كتابا بمناسبة انقاذه خمسة عشر ألف مسيحي في دمشق[9]، والقضاء على الفتنة الطائفية[10]، جاء فيها:

---

[1]علي بن محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 342.

[2]شارلز هنري تتشرشل، المصدر السابق، ص 363.

[3]علي بن محمد الصلاي، المرجع السابق، ص 343.

[4]محمد ابن الأمير عبد القادر الحسني، المصدر السابق، ص 112.

[5]المصدر نفسه، ص 101.

[6]أديب حرب، المرجع السابق، ص 576.

[7]شارلز هنري تتشرشل، المصدر السابق، ص 364.

[8]الأميرة بديعة الحسني الجزائري، المرجع السابق، ص 266.

[9]شارلز هنري تتشرشل، المصدر السابق، ص 362.

[10]عمار عمورة، نبيل داودة، المرجع السابق، ص 275.

" إن الجمعية المصابين المؤلفة من اعيان الأمصار، ووجوه المدن الشهيرة في فرنسا اتفقت كلمتها على أن يكون الأمير عبد القادر رئيس شرف لها اعترافا كما أبداه من أعمال الخير الجسيمة[1]، في سوريا سنة 1860 م[2]، وبناء على ذلك بعثت إليه بهذا الرقم في جوان 1862 م، وفعلت مثل ذلك الجمعية الأمريكية الشرقية فقرر مجلس إدارتها اعتبار الامير عبد القادر عضو شرف فيها وأرسلت إليه رقيما في 1860م، وكذلك جمعية حماية المدن في فرنسا.

ووصله كتاب تقدير من الجمعية الفورماسونية بفرنسا جاء فيها: " إلى الأمير الأجل عبد القادر في دمشق ...

إعلم أيها الأمير أن العالم قد كلل هامتكم الشريفة المقدسة بإكليل الشرف ونحن نقدم إليكم تقديرنا لما أظهر [3].

تموه من كمال الإنسانية: نعم أنت الممثل الوحيد للأمة العربية القوية التي تدين أوروبا لهم بقسم كبير من تمدنها وعلومها فلك المجد والفخار والشكر وقد أتيت إلى هذه البلاد لتبدد ظلماتها وتطفئ نار الجهل فيها ولنا أمل كبير أن تقبل منا هذه الرسالة وإن كانت عديمة القيمة حرر في باريس في الثاني من اكتوبر عام 1860 م.[4]

الأمير عبد القادر في الحجاز:

وعلى اثر هذه الحادثة بمدة زار الامير حماه وحمص [5] وتوقف في الأخيرة عند قبر سيق الله (خالد بن الوليد) ثم رغب في أداء فريضة الحج، نركب إلى الإسكندرية حيث استقبله قناصل الدول الأجنبية ووجهها للشعب المصري وأعيانه وخديوية، وأقيمت له موائد

[1] الأميرة بديعة الحسني الجزائري، المرجع السابق، ص 266.

[2] محمد شاطو، المرجع السابق، ص ص 392-393.

[3] الأميرة بديعة الحسني الجزائري، المرجع السابق، ص ص 266-267.

[4] نفسه، ص 267.

[5] محمد ابن الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص 116.

تكريم ثم توجه على اثرها إلى السويس فجدة، فمكة [1]، وقبل دخوله إليها أراد شريف مكة ان يستقبله في موكب رسمي فاعتذر مفضلا دخولها كأبسط الناس.[2]

وبعد أن أدى مناسك الحج زار مدينة الطائف ثم توجه إلى المدينة لزيارة قبر نبي الإسلام ورسول السلام، محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وكان حيثما حل في طريقه إليها يقتبل بالحفاوة والإكرام وفي المدينة المنورة [3] مكث شهرا كاملا معتكفا بجوار قبر الرسول صلى الله عليه وسلم.

وخلال اقامته بها زار مختلف المشاهد والمعالم العربية الإسلامية [4] وأخيرا راجعا إلى دمشق وحل بها في (19 محرم 1282 هـ / 20 جوان 1864) واستقبل من طرف أهاليها بحفاوة عظيمة واجلال كبير.[5]

جولته إلى الأستانة وفرنسا ولندرة:

وفي (27 ذي القعدة 1282 هـ/ 10 أفريل 1865 م) قام بزيارة بيروت فالأستانة حيث أجرى محادثات عدة مع المسؤولين أسفرت عن عفو السلطات العثمانين على المتوفين في حادثة دمشق [6] وبعدها توجه إلى مرسيليا، فليون، فباريس واجرى سلسلة من المحادثات مع نابليون وكافة الوزراء والأعيان والوجهاء [7] ثم رجع إلى دمشق بعد أن عرج على (الندرة) عاصمة انكلترا التي أقام فيها أربعة أيام.[8]

---

[1] الأستاذ عبد الرزاق بن سبع، المرجع السابق، ص 60.

[2] الدكتور يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 72.

[3] محمد ابن الأمير عبد القادر الحسني، المصدر السابق، ص ص 121-142.

[4] الأستاذ عبد الرزاق بن سبع، المرجع السابق، ص 61.

[5] الدكتور يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص 72-73.

[6] محمد ابن الأمير عبد القادر الحسني، المصدر السابق، ص 154.

[7] الأستاذ عبد الرزاق، بن السبع، المرجع السابق، ص ص 62-63.

[8] الدكتور يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 73.

في مهرجان تدشين قناة السويس:

وفي (رجب 1286 هـ/ نوفمبر 1869 م) دعي الأمير لحضور مهرجان افتتاح (قناة السويس).[1]

الذي حضر إليه أعيان العالم كله فلبى الدعوة وحضر إلى هناك واجتمع بجميع الملوك والوزراء وأعيان وأخيرا قفل رجعا إلى دمشق، [2] وفي (1296 هـ) أشيع خبر موته في الأوساط وانتشر في أصقاع العالم وفي الحين كذب بواسطة التلغراف، أما الأمير فإنه شكر كل من أستاذ بخصاله في رسائل التعازي والصحف.[3] وقال: " إن الموت [4] لا بد منه، وتحمد الله على أن كان ذكرنا حسنا" .

[1] نزار أباظة، المرجع السابق، ص 27.

[2] الدكتور يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 73.

[3] نزار أباضة، المرجع السابق، ص 34.

[4] محمد ابن الأمير عبد القادر الحسني، المصدر السابق، ص 213.

الخاتمة

كان الأمير عبد القادر سليلا حقيقيا للرسول صلى الله عليه وسلم فهو شريف حسني يرجع نسبه إلى الحسين وهو أحد أبني فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت عائلة الأمير لها تأثير كبير في الحشم والقبائل الأخرى في منطقة غريتي فوالده محي الدين كان مقدما في الطريقة القادرية التي كان قائدها الروحي ولي الله الصالح الموقر في كل الإسلام.

والنسب النبوي الشريف للأمير عبد القادر جعل منه الرجل المحافظ لأنه ينحدر من السلالة الهاشمية والتربية الإسلامية على يد والده محي الدين الحسني جعلت منه شخص تقي ومؤمن بالله وحفظ القرآن وعمره 12 سنة وهو صغير وتعلم العلوم في مدينة وهران ورجع إلى مسقط رأسه القسطنطينية وتزوج وعمره 15 سنة ليكمل دينه.

فكان فارسا مهيبا يتقن فن الرماية والفروسية، فكان العثمانيون يحترمونه ويقدرونه علمهم.

وأدى عبد القادر فريضة الحج مع والده وزار المشرق العربي وأخذ العلوم من علمائها ومشايخها وزار ضريح سيدي عبد القادر الكيلاني ببغداد وأدوا فريضة الحج والعمرة الثانية.

وبعدها عادوا إلى القسطنطينية سنة 1828م سالمين غانمين بفضل الله تعالى، واصل الأمير تعلمه بصبر وعزيمة فزاد عظمة ووقار وبعد مشاركة عبد القادر والدة المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي وألحقوا خلالها بالعدو الفرنسي هزيمة نكراء في معركة خنق النطاح يوم 29 ماي 1932م ونتيجة لشهامة عبد القادر وشجاعته في إدارة المعارك ولهذا عرض أشراف وأعيان قبائل الغرب من الشيخ محي الدين الإمارة لكنة اعتذر لكبر سنة واقترح عليهم ابنه عبد القادر فقبل الجميع واجتمع علماء واشراف واعيان ورؤساء القبائل الغرب الجزائري يوم 27 نوفمبر 1832م في سهل غربي عند شجرة الدردر وبايعوا الشباب المير عبد القادر وكان عمره 24 سنة على الطاعة والإخلاص والموت في سبيل الله والوطن، ولقب بالأمير عبد القادر ولم يحتار لقب السلطان احتراما لسلطان المغرب، والحفاظ على وحدة المغرب العربي بمجرد مبايعته شرع الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية الفتية

على أسس إسلامية مستمدة من قوانينها من القرآن الكريم والسنة على حسب المذهب المالكي، وفي نفس الوقت عصرية شورية تستمد قوتها وشرعيتها من الشعب فأهتم بالجانب الإداري والعسكري والسياسي والاقتصادي والثقافي واعتنى كثيرا بتنظيم الجيش وتسليحه والحصون والقلاع كما تمكن من الهجوم على قوات الفرنسية وحصارها ما اضطر الجنرال دي ميشال التفاوض شخصيا مع المير وأبرمت بينهم المعاهدة سميت بمعاهدة ديميشال التي كانت في فائدة الأمير وبسبب طلب قبائل الزمالة والدواوير الحماية من طرف الفرنسيين وقعت معركة بين جيش الأمير والجيش الفرنسي بقيادة الجنرال تريزل في معركة المقطع وانهزم فيها تريزل شر هزيمة أما المعركة الثانية بسبب تعاون القوتين للجنرال كلوزيل وبيجو ثم تم تطويق قوات الأمير عبد القادر في وادي سكاك غربي تلمسان لكن صمود ومقاومة جيش الأمير عبد القادر ظلت حافزة في كل النواحي التي أقام فيها الأمير دولته الوطنية مما أعاق الفرنسيين في أحكام الاحتلال بالغرب الجزائري ولجأوا إلى الحيلة كعادتهم فقرروا مهادنة المير عبد القادر بإبرام معاهدة التافنة في 30 ماي 1837م، هذه المعاهدة حققت للأمير عبد القادر عدة امتيازات منها تحقيق وتنظيم جيد لمؤسسات الدولة ولضمان التمويل لها.

ولأن فترة سلام وهدوء كان الأمير في حاجة إليها لتدعيم مركزه السياسي والعسكري في الداخل.

أما بالنسبة للاستعمار وفرت مكاسب كان أهمها وصول امدادات جديدة للجيوش والعتاد العسكري وبعد ان خرق الفرنسيون معاهدة التافنة قام الجنرال بيجو باتباع سياسة الأرض المحروقة لإرهاب اتباع وأنصار الأمير مما جعلهم يرتكبون جرائم فضيعة في حق الجزائريين ومنها استئناف المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي وأبلى الأمير في حروبه بلاء حسن إلا أن نهاية المقاومة بدأت تظهر ملامحها بسبب الامتدادات العسكرية الفرنسية التي تصل إلى الجزائر بقوة زائد العتاد العسكري المتطور والتنظيم المحكم في الحرب وتدريس الجيوش والخبرة العسكرية ضف إلى ذلك خيانة بعض القبائل والوقوف في صف الجيش

الفرنسي ضد الأمير عبد القادر وكذلك الجواسيس أمثال ليون روش الذي يسير مصنع الأسلحة الذي وضع الأمير عبد القادر ثقته فيه.

كل هذه الظروف أدت إلى استسلام بعض خلفائه خاصة بعد ما سقطت عاصمة المير عبد القادر" الزمالة" المستقلة عام 1841م، وبعد أن قاوم الأمير وأتباعه جيوش الاحتلال خلال أكثر من 17 سنة تحملوا الكثير من التضحيات والاستشهاد وتقهقر المير وأتبعه المتناقصين إلى المغرب وقصدوا منطقة الريف الغيورة على الإسلام والعروبة ورغم التأييد الكبير الذي لقيه من الشعب إلا ان السلطان المغربي لم يعجبه هذا اللجوء وزاد خوفه من انتقام فرنسا التي هددته بالعقاب وبالفعل تمت معركة بين الجيش الفرنسي والجيش المغربي وانتهت بهزيمة المغرب وأبرمت فرنسا معاهدة طنجة المجحفة على سلطان المغرب وخوفه من انتقام فرنسا، وما كان على الأمير عبد القادر إلا العودة إلى الجزائر وبداية مقاومة الظهرة بعد ان انظم إليه الثائر بومعزة فحققوا انتصارات عسكرية محدودة على جيش كافنياك خاصة في معركة سيدي إبراهيم غرب العزوات أواخر سبتمبر 1945ن، رغم أن ميزان القوة لم يكن لصالح الأمير عبد القادر إلا أن الاستعمار الفرنسي دفع بقوات كبيرة ومجهزة عسكريا تمكنت من تطويق الثائر بومعزة وأتباعه وألقت القبض عليه في مارس 1847م.

حينما لم يبقى للأمير إلا التفاوض مع الجنرال لمور سيار قائد جيوش الاحتلال في المغرب الجزائري فتم التوصل بين الطرفين مبتدئا إلى وقف اطلاق النار والسماح له ولأتباعه بالهجرة إلى المشرق وبتاريخ 27 ديسمبر 1847م وبحضور الدوق دومال الجاكم العام الجديد في الغزوات وقعت وثيقة التسليم بعد 17 عام من المقاومة والمعانات ضد أكبر دولة أوروبية مسيحية صليبية حاقدة على الإسلام والمسلمين وعنصرية ومجرمة ضد كل من هو مسلم وعربي.

وكعادة الغربيين في التنكر لما اتفقوا عليه فقد حملوا الأمير عبد القادر أسير إلى فرنسا حتى عام 1852 وسجنته بقصر" أمبواز" حيث بقي أسير مدة 5 سنوات ألف كتب وقصائد إلى أن أطلق نابليون سراحه سنة 1852 توجه من بعد إلى الاستانة بتركيا فاستقبله هناك

السلطان عبد المجيد وعاش فيها ثلاث سنوات ثم قدم المير يطلب إلى الامبراطور نابليون الثالث ليسمح له بالذهاب إلى دمشق فوافق الامبراطور فتوجه إلى بيروت ثم دمشق واستقبلوه استقبال يليق بأمير وما إن وصل إلى دمشق حتى احتضن علماؤها وحسن حياتهم وانتاجهم العلمي وعقد الندوات قام بالدراسات الفقهية والدينية في الجامع الاموي.

وأحب عبد القادر دمشق وأصبحت له فيها أملاك من أراضي زراعية ومنازل فخمة لما بني قصرا لمصيفه صنع وكيرة ودعا إليها العلماء والأعيان وقرأوا بعدها شيئا من صحيح البخاري للتبرك وهنأه الشعراء وفي سنة 1861 توجه إلى المقدس وزار المعالم الأثرية فيها.

كما ألف مجموعة من الكتب ونظم الشعر والقصائد ورفع الظلم عن كثير من المضطهدين واستطاع اخماد الفتنة الطائفية سنة 1860م بدمشق ومنع فرنسا من التدخل والسيطرة على سوريا ومنحته الدول الأوروبية الأوسمة الفخرية وكلها من المرتبة الأولى.

ومدحه الخطباء والشعراء، وبعدها توجه إلى الأداء الحج وفي مكة أخذ الطريقة الشاذلية وبقي بها مدة أخذ يزور معالمها، وبعدها عاد إلى دمشق 1866م ثم توجه إلى الاستانة وزار السلطان عبد العزيز وتوسط لديه في العفو عن المساجين والمنفسين الذين ادينوا في فتنة الستين فلبى السلطان رجاءه وأطلق سراحهم وبعدها سافر إلى باريس بدعوة من نابليون الثالث وبعدها توجه إلى لندن ثم رجع إلى باريس وزار معالمها ثم توجه إلى بولونيا ودعى إلى مصر لحضور حفل افتتاح قناة السويس سنة 1869م، ولم يتوقف الأمير عبد القادر من قراءة الكتب المتخصصة في تاريخ الحضارة الإسلامية وكتب العقيدة الإسلامية. أما عن موقف الأمير من الحركة الاستقلالية أنه رفض التقسيم بين بلاد الشام والخلافة العثمانية (الأتراك).

ونصب الأمير عبد القادر أميرا عليها فلم يقبله لأنه يحقق مصالح الدول الأوروبية وتحقيق مشروعها الاستعماري كان الأمير رجلا عاكفا على شهود صلاة الجماعة في أوقاتها كثير التهجد والخلوات كثير الصدقات يبر العلماء والصالحين والفقراء برواتب شهرية عاملا بتقوى الله في السر والعلن كان حليما زاهدا ورعا، احبه أهل دمشق هذا هو الأمير عبد

القادر هذه هي إنجازاته في دمشق إلى جانب كفاحه ضد الاستعمار الفرنسي في بلاده الجزائروتوفي المير عبد القادر يوم 24 ماي 1883م في قمرة بقرية دمر غرب دمشق عن 76 عاما ودفن بجوار الشيخ محي الدين بن عربي رثاه شعراء كثيرون وتكلم في أمره خطباء عديدون رحمك الله يا أمير المؤمنون الأمير عبد القادر.

ومن خلال هذا البحث الذي نرجو أن يكون قد أعطى حقه من الدراسة والبحث فإنه لا يمكن تغطية كافية جوانب حياة الأمير عبد القادر، فهذه الشخصية العظيمة نالت اعجاب الكثير من الكتاب الأجانب والمستشرقين والمؤرخين العرب والأدباء إلا أنني وجدت صعوبة المتمثلة في تناقص الكتابات بين الأجنبية والعربية في بعض الأفكار التي نسبت إلى الأمير عبد القادر في الكتب الأجنبية واستنكارها في الكتب العربية، فلست أدعي أنني أكملت الموضوع لكنني عملت له بكل امانة وتجرد وفي الأخير أملي أن أكون قد وفقت ولو نسبيا فيما اهتديت إليه وان أخطأت فذاك مبلغي من العلم وخير ما أختم به قوله تعالى: { وما أوتيتم من العلم إلا قليلا} صدق الله العظيم.

الملاحق

الملاحق

الملحق رقم (1): صورة الأمير عبد القادر الجزائري[1]

صورة للأمير عبد القادر الجزائري

[1] محمد هلوب، في الذكرى المائوية الثانية لميلاده، الأمير عبد القادر وحقوق الإنسان، مجلة مجلس الأمة، العدد 35 أفريل 2008، الجزائر، ص 3.

الملحق رقم (2):شجرة الدردارة التي بويع الأمير عبد القادر تحتها[1]

شجرةالدردارة التي بويع الأمير عبد القادر تحتها

مجله مجلس الأمه، المرجع نفسه ، ص 13

[1]محمد هلوب، المرجع نفسه ، ص 13

الملحق رقم (3): رسالة محمد الصغير بن عبد الرحمان إلى مصطفى صاحب الطابع حول هدية الأمير عبد القادر إليه.[1]

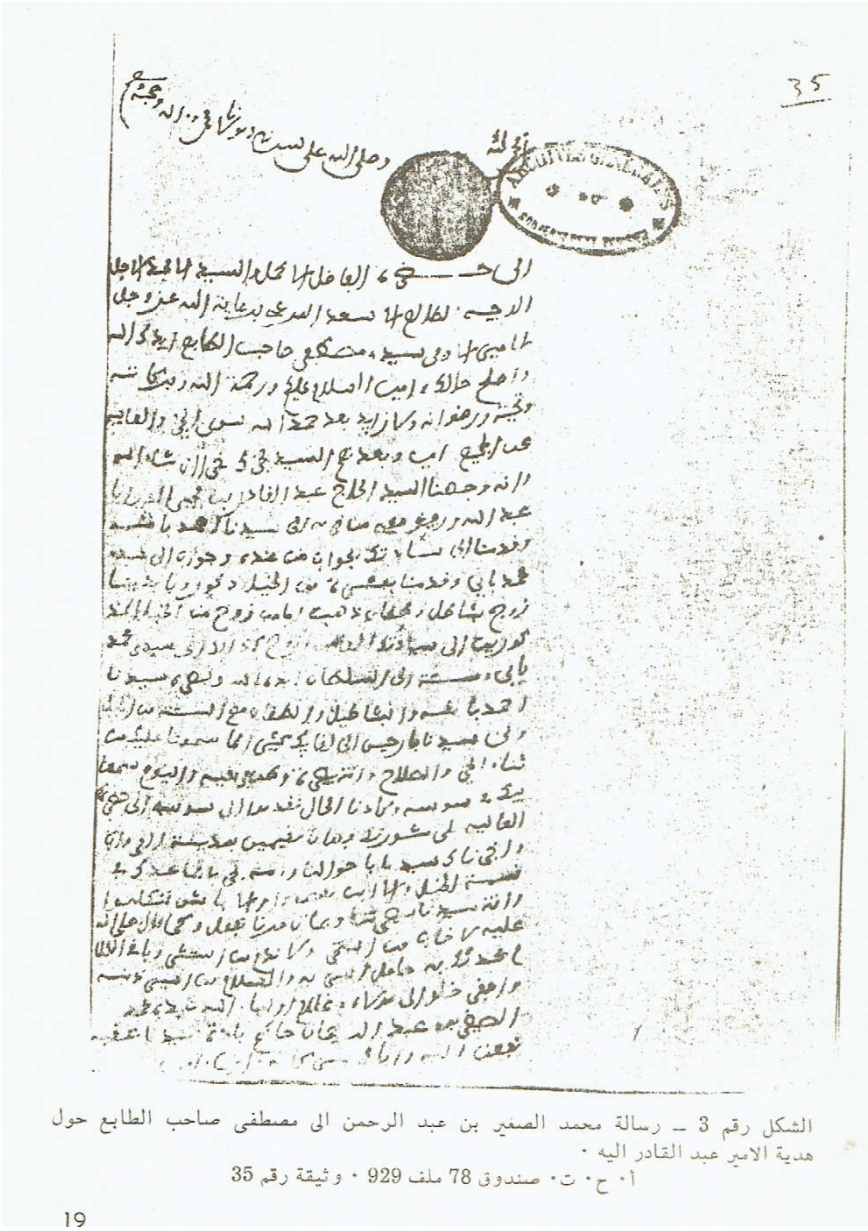

الشكل رقم 3 ـ رسالة محمد الصغير بن عبد الرحمن الى مصطفى صاحب الطابع حول هدية الامير عبد القادر اليه ·
أ· ح· ت· صندوق 78 ملف 929 · وثيقة رقم 35

19

[1] يحي بوعزيز، جهود الأمير عبد القادر و خلفائه في تدعيم الجبهة الشرقية القسنطينية، مجلة الأصالة، السنة الخامسة، شعبان 1397 هـ / أوت 1977، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ص19

الملحق رقم (4): رسالة محمد الحسناوي إلى صالح بن محمد الأمير كاهية الكاف حول أحداث الحاج أحمد باي والأمير عبد القادر.[1]

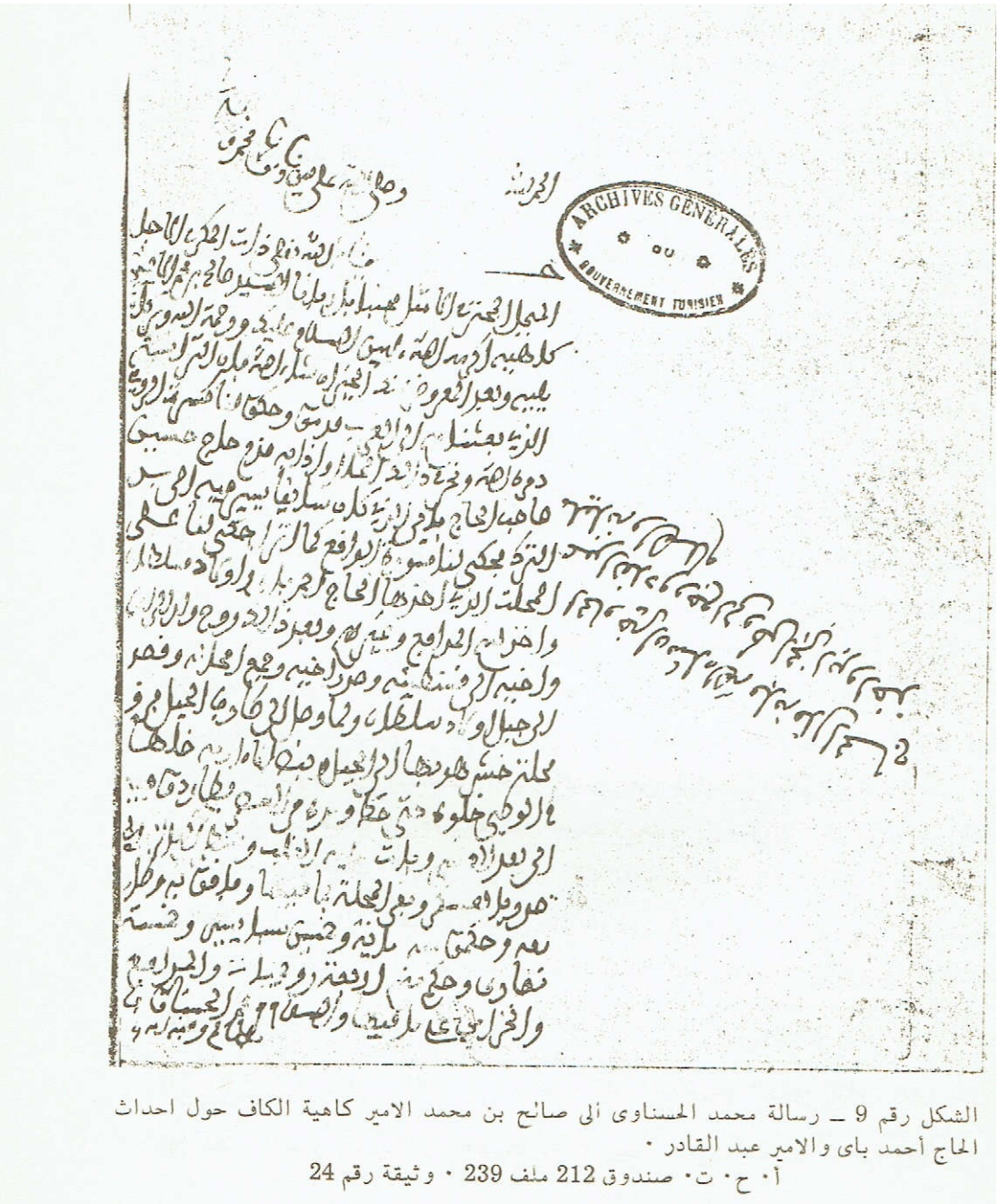

الشكل رقم 9 ـ رسالة محمد الحسناوى الى صالح بن محمد الامير كاهية الكاف حول احداث الحاج أحمد باى والامير عبد القادر ٠
أ٠ ح٠ ت٠ صندوق 212 ملف 239 ٠ وثيقة رقم 24

[1] يحي بوعزيز، جهود الأمير عبد القادر وخلفائه في تدعيم الجبهة الشرقية القسنطينية، المرجع السابق، ص35.

الملحق رقم (5): رسالة الأمير عبد القادر إلى علي بن سالم يحثه على الاهتمام بالحدود الشرقية[1]

الشكل رقم 11 ـ رسالة الامير عبد القادر الى على بن سالم يحثه على الاهتمام بالحدود الشرقية ·

أ· ح· ت· صندوق 78 ملف 929 · وثيقة رقم 40

[1] يحي بوعزيز، جهود الأمير عبد القادر وخلفائه في تدعيم الجبهة الشرقية القسنطينية، المرجع السابق، ص 40.

الملحق رقم (6): رسالة الصغير بن عبد الرحمان إلى محمد الحسناوي حول رسالة موجهة إليه من الأمير عبد القادر.[1]

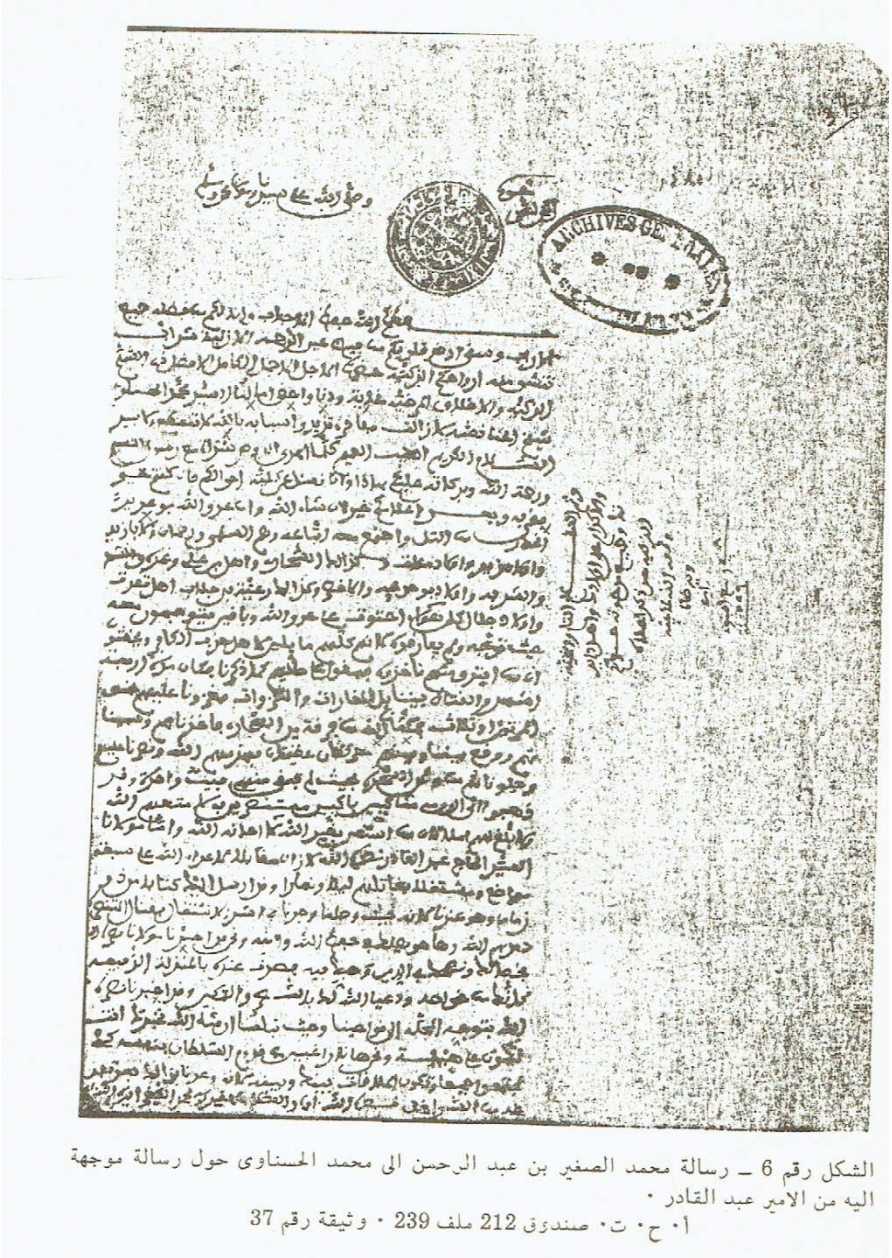

الشكل رقم 6 ـ رسالة محمد الصغير بن عبد الرحمن الى محمد الحسناوى حول رسالة موجهة اليه من الامير عبد القادر ·
أ· ح· ت· صندوق 212 ملف 239 · وثيقة رقم 37

الملحق رقم (7): صورة لجند الأمير[2]

[1] يحي بوعزيز، جهود الأمير عبد القادر وخلفائه في تدعيم الجبهة الشرقية القسنطينية، المرجع السابق، ص 25.

[2] يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الدار العربية للكتاب، تونس 1983، ص 357

احد فرسان جيش الامير

احد جنود الامير المشاة

الملحق رقم (8): رسالة الصغير بن عبد الرحمان إلى أحمد باشا حول رسالة وهدية الأمير عبد القادر إليه.[1]

[1] يحي بوعزيز، جهود الأمير عبد القادر و خلفائه في تدعيم الجبهة الشرقية القسنطينية، المرجع السابق، ص 21.

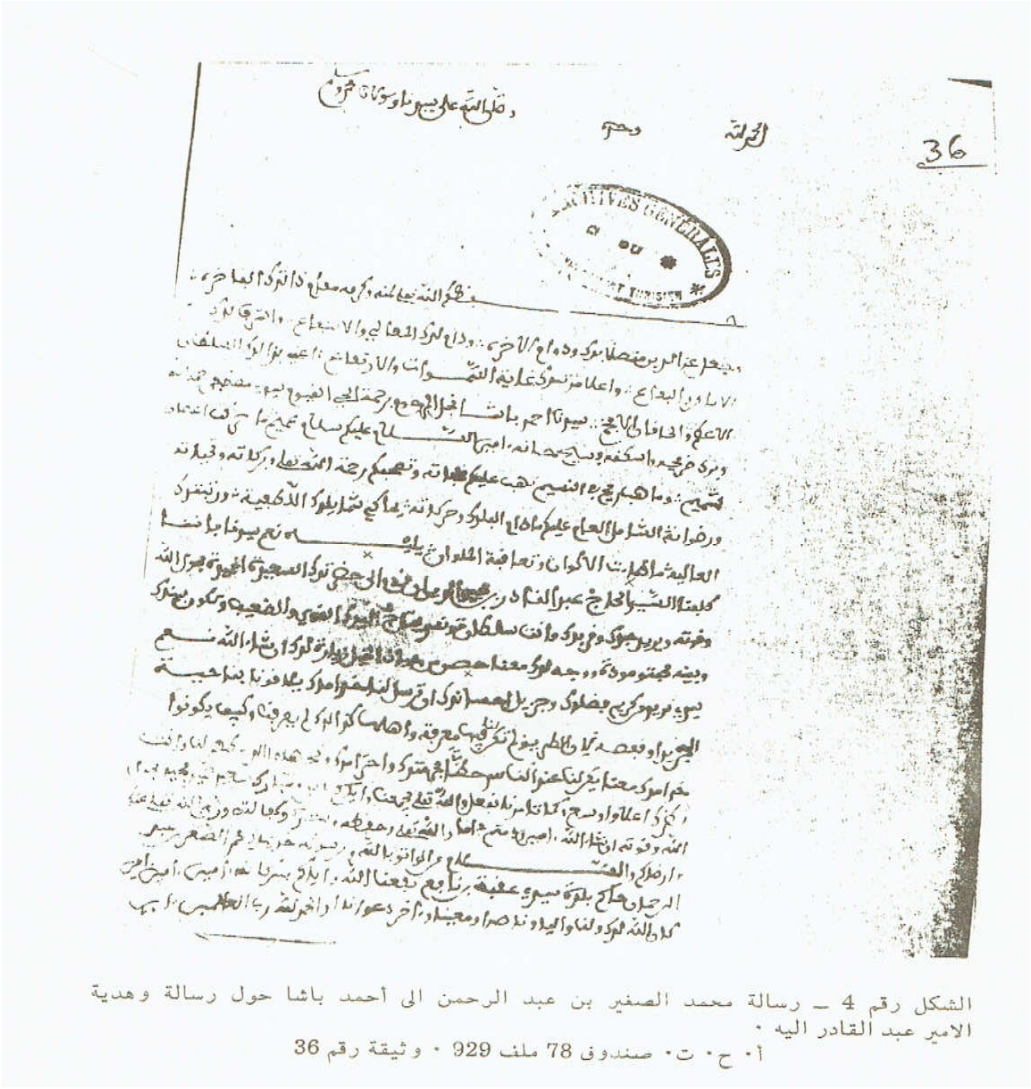

الشكل رقم 4 ــ رسالة محمد الصغير بن عبد الرحمن الى أحمد باشا حول رسالة وهدية الامير عبد القادر اليه ٠
أ٠ ح٠ ت٠ صندوق 78 ملف 929 ٠ وثيقة رقم 36

الملحق رقم (9): رسالة الأمير عبد القادر إلى محمد بن حسن باي تونس حول رسول وهدية إليه.[1]

[1] يحي بوعزيز، جهود الأمير عبد القادر و خلفائه في تدعيم الجبهة الشرقية القسنطينية، المرجع السابق، ص42

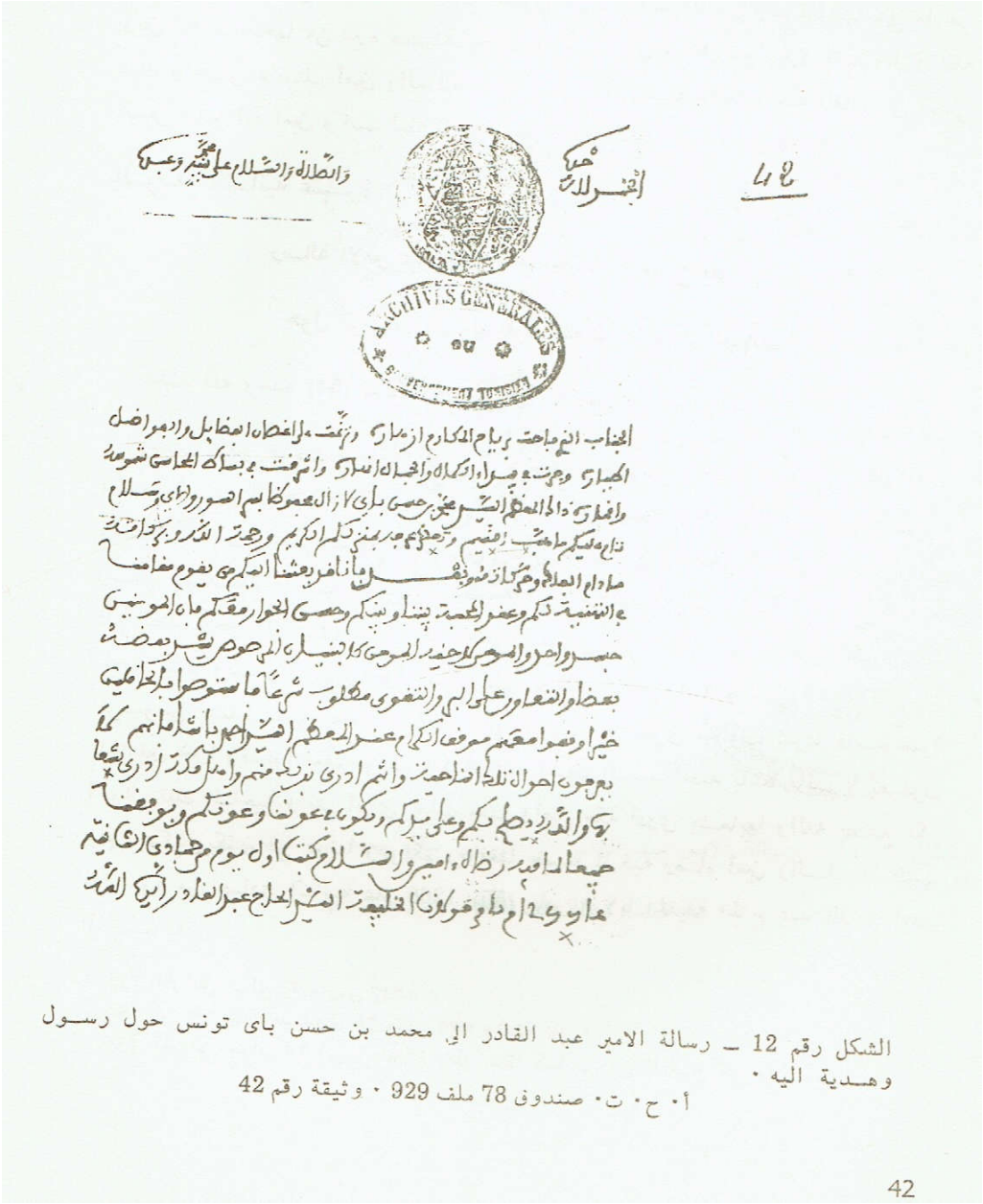

الشكل رقم 12 ــ رسالة الامير عبد القادر الى محمد بن حسن باى تونس حول رسول وهدية اليه ٠

أ٠ ح٠ ت٠ صندوق 78 ملف 929 ٠ وثيقة رقم 42

42

الملحق رقم (10): رسالة الحسين بن عزوز إلى حمود باشا حول ربط الصلات مع الأمير عبد القادر[1]

[1] يحي بوعزيز، جهود الأمير عبد القادر وخلفائه في تدعيم الجبهة الشرقية القسنطينية، المرجع السابق، ص 11.

الملحق رقم (11): رسالة الأمير عبد القادر إلى علي بن سالم يحثه إلى الاهتمام بالحدود الشرقية[1]

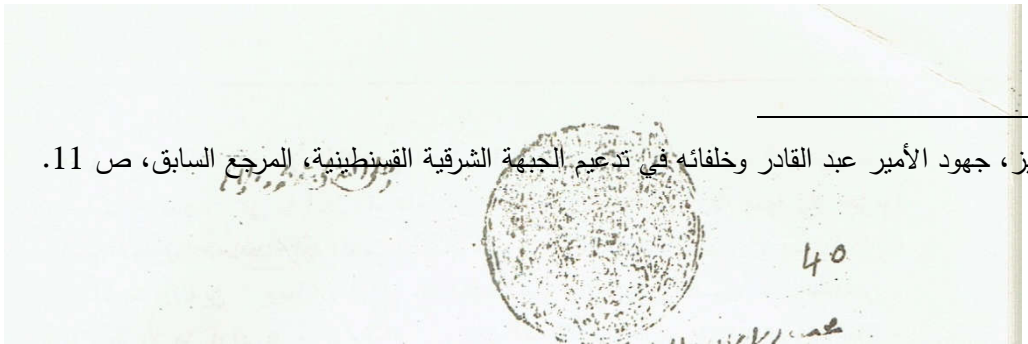

[1] يحي بوعزيز، جهود الأمير عبد القادر وخلفائه في تدعيم الجبهة الشرقية القسنطينية، المرجع السابق، ص 11.

الملحق رقم (12): المناطق المحتلة في الجزائر آخر سنة 1840[1]

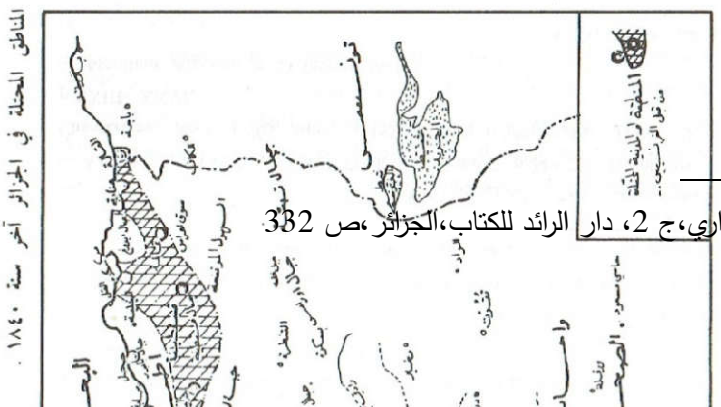

[1]أديب حرب،التاريخ العسكري والإداري،ج 2، دار الرائد للكتاب،الجزائر،ص 332

الملحق رقم (13): مناطق مقاومة الأمير عبد القادر للاستعمار الفرنسي[1]

[1]برونو إتيين، عبد القادر الجزائري، تر: المهندس ميشيل خوري، ط 1 ، دار الفرابي، بيوت ، لبنان 1997، ص 507.

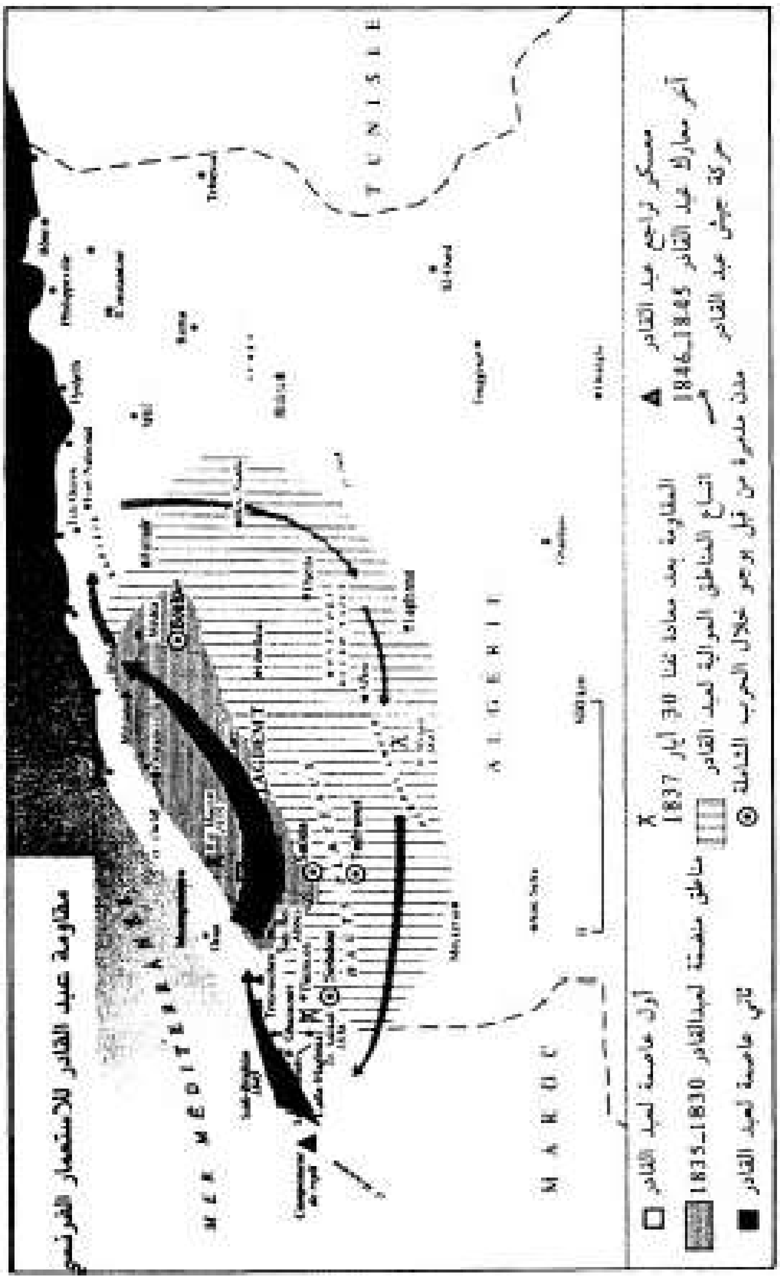

المؤلف برونو إتيين، ترجمة المهندس ميشيل خوري، المرجع السابق، ص 507

الملحق رقم (14): أسلحة الأمير عبد القادر[1]

[1] يحي بوعزيز، ال

الملحق رقم (15): الأمير عبد القادر يحمس جنوده قبل المعركة (1)، الأمير صحبة ماك ماهون في السفينة التي نقل بها إلى طولون (2).[1]

[1] يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، المرجع السابق، ص 358

الامير عبد القادر يحمس جنوده قبل المعركة

الدكتور يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 356.

صحبة مالا ماهون

الدكتور يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 356.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصار

1. القرآن الكريم

المصادر بالعربية:

1. الأمير عبد القادر، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، تح: الدكتور ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة دمشق سوريا، 1960
2. الأمير عبد القادر، مذكرات الأمير عبد القادر، سيرة ذاتية كتبها في السجن، سنة 1849، تح: مجمد الصغير البناني، محفوظ السماتي، محمد الصالح الجون، ط07، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، 2010.
3. الحاج مصطفى بن التهامي سيرة الأمير عبد القادر وجهاده تح، تق، تع: الدكتور يحي بوعزيز، ط خ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،2009.
4. الدكتور أحمد كمال الجزائر، المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر والسادة الاولياء الأكابر تق: فضيلة الإمام محمد زكي إبراهيم، ط1، المعادى،القاهرة،
5. محمد ابن الأمير عبد القادر الحسني، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائري، ج1، المطبعة التجارية، عرزوزي و جاويش، الإسكندرية، 1903.
6. محمد ابن الأمير عبد القادر الحسني، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج2، بالمطبعة التجارية، عرزوزي و جاويش ، الاسكندرية، مصر، 1903.

المصار الأجنبية المترجمة:

1. دنينيزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، تر: تق: أبو العيد دودو، دار هومة الجزائر، 2009.
2. شارلز هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر،تر، تق، تع: أبو القاسم سعد الله،طبيعة خاصة، دار الرائد، الجزائر، 2009.

المراجع العربية:

1. أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، ج 2، ط3،دار الرائد للكتاب، الجزائر،2005.
2. الأمير خالد، مؤسسة حركة الإخوة الجزائرية التي من مطالبها المساواة بين الجزائريين مع الفرنسيين في الحقوق انظر عبد الرحمان بن برهيم العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، 1920-1936، ج01، ط02، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، الجزائر، 2008.
3. الأمير عبد القادر، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، تح: الدكتور ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة دمشق سوريا، 1960
4. بركات عمار، دور التجربة الصوفية في تأسيس الأبعاد الانسانية: الأمير عبد القادر ومهاتما غاندي. كأنموذج، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية مجلد: 10 عدد 02 ديسمبر 2019، جامعة معسكر، الجزائر.
5. برونو إتيين ((BRUNOETIENNE، الأمير عبد القادر الجزائري، ترجمة المهندس ميشيل خوري، ط1، دار الفارابي بيروت، لبنان، 1997.
6. بشير البلاح، مؤجر تاريخ الجزائري الحديث والمعاصر، من 1830-1889، دار المعرفة، باب الواد، الجزائر، 2000.
7. الحاج مصطفى بن التهامي سيرة الأمير عبد القادر وجهاده تح، تق، تع: الدكتور يحي بوعزيز، ط خ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،2009.
8. عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج04، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
9. محمد هلوب، في الذكرى الماؤية الثانية لميلاده، الأمير عبد القادر وحقوق الإنسان، مجلة مجلس الأمة، العدد 35 أفريل 2008، الجزائر.
10. العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة، الجزائر، 2006.

11.عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر السياسي ، ط2، دار الغرب، للنشر والتوزيع، وهران،الجزائر، 2009.

12.عشراني سليمان، الأمير عبد القادر المفكر،ط03، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2009.

13.علي بن محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر، قائد رباني ومجاهد إسلامي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

14.علي محمد محمد الصلابي، كفاح الشعبي الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر، دار المعرفة، بيروت، (لبنان)، (د، ت).

15.عمار طالبي، الأمير عبد القادر ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004.

16.عمار عمورة، نبيل داودة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2009.

17.محمد ابن الأمير عبد القادر الحسني، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائري، ج1، المطبعة التجارية، عرزوزي و جاويش، الإسكندرية، 1903.

18.محمد ابن الأمير عبد القادر الحسني، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج2، بالمطبعة التجارية، عرزوزي و جاويش ، الاسكندرية، مصر، 1903.

19.نزار أباظة الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، ط1، دار الفكر بدمشق، السورية، 1994.

20.يحي بوعزيز الأمير عبر القادر رائد الكفاح الجزائري، ط3، الدار العربية للكتاب، 1983.

21.يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا تاريخ الجزائر و العرب ج1، دار الهدى، الجزائر، 2009.

22.يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832- 1847، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1990.

23.الدكتور عمار بحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962م، ط3 دار البصائر للنشر و التوزيع، حسين داي، الجزائر،2008.

24.الاستاذ عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري و أدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، 2000.

مراجع أجنبية مترجمة إلى العربية:

1. برونو إتيين ((BRUNOETIENNE، الأمير عبد القادر الجزائري، ترجمة المهندس ميشيل خوري، ط1، دار الفارابي بيروت، لبنان، 1997.

مجلات:

1- .يحي بوعزيز، جهود الأمير عبد القادر و خلفائه في تدعيم الجبهة الشرقية القسنطينية، مجلة الأصالة، السنة الخامسة، شعبان 1397 هـ / أوت 1977، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر.

2- بركات عمار، دور التجربة الصوفية في تأسيس الأبعاد الانسانية: الأمير عبد القادر ومهاتما غاندي. كأنموذج، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية مجلد: 10 عدد 02 ديسمبر 2019، جامعة معسكر، الجزائر.

3- محمد هلوب، في الذكرى المأوية الثانية لميلاده، الأمير عبد القادر وحقوق الإنسان، مجلة مجلس الأمة، العدد 35 أفريل 2008، الجزائر.

4- محمد شاطو، التسامح الإسلامي المسيحي من خلال مسيرة الأمير عبد القادر الجزائري 1832-1883م، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية: مجلد:10 عدد1 جوان 2019 المركز الجامعي نور البشير بالبيض، الجزائر.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وتقدير

إهداء

قائمة المختصرات

مقدمة:.....أ

الفصل الأول

ترجمة لحياة الأمير عبد القادر

المبحث الأول: نسبه ومولده..... 8

المبحث الثاني: نشأته التعليمية..... 10

المبحث الثالث: وفاته وآثاره..... 14

الفصل الثاني

مقاومة الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري

المبحث الأول: حروبه قبل المبايعة بالإمارة..... 22

المبحث الثاني: مبايعة الأمير عبد القادر ومعاهدته على الإمارة والجهاد. 24

المبحث الثالث: حروبه وجهاده..... 34

المبحث الرابع: معاهدات الأمير عبد القادر 37

الفصل الثالث

مقاومة الأمير عبد القادر ومنفاه

المبحث الأول: نهاية مقاومة الامير عبد القادر 41

المبحث الثاني: منفاه 46

المبحث الثالث: نهاية مقاومة الأمير عبد القادر المسلحة ومنفاه: 53

الخاتمة: 65

الملاحق 72

قائمة المصادر والمراجع 88

فهرس المحتويات..... 92

الملخص

الملخص:

الأمير عبد القادر بن محي الدين ولد في عام 1807 بالقيطنة القريبة من مدينة معسكر حج مع والده سنة 1825م، فهو شريف النسب وفارس شجاع ومرابط متصوف ومصلح وشاعر ومفكر سياسي تميز بالحنكة والدهاء فهو العالم الجليل التقي، المجاهد رائد الكفاح الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي الغاشم وزعيم المقاومة الشعبية الجزائرية بعد مبايعته (1832-1847م).

أضفى سعي الأمير عبد القادر إلى بعث الدولة الجزائرية الحديثة وفرض نفسه أمام الغزاة الاستعماريين بتضلعه في فنون الحرب والمفاوضة على حد سواء وانتهت مقاومته في الغرب الجزائرية ونفي إلى دمشق وأنقذها من جحيم الحرب الأهلية الطائفية سنة 1860م فلقب برجل السلام وسفير الحرية ورائد حقوق الإنسان وتوفي بها سنة 1883 م ونقل رفاته إلى الجزائر سنة 1962 م بمقبرة الشهداء.

الكلمات المفتاحية: الأمير عبد القادر، معركة المقطع، معركة وادي السكاك، معاهدة ديميشال، معاهدة التافنة، حادثة دمشق.

Abstract:

Prince Abd al-Qadir bin Muhi al-Din was born in 1807 in Quytuna near the city of Hajj camp with his father in 1825 AD. Algerian popular after his pledge (1832-1847 AD).

Emir Abdelkader’s quest to resurrect the modern Algerian state and impose himself in front of the colonial invaders made him master in the arts of war and negotiation alike. His resistance in the Algerian west ended and he was exiled to Damascus and saved it from the hell of a sectarian civil war in 1860 AD. He was called the man of peace, the ambassador of freedom, and the pioneer of human rights. 1883 AD and his remains were transferred to Algeria in 1962 AD in the Martyrs' Cemetery.

Keywords: Emir Abd al-Qadir, the Battle of the Maqtaa, the Battle of Wadi al-Sakak, the Treaty of Dimishal, the Treaty of Tafna, the Damascus incident.

بحمد الله